



— روايات مصرية للجيب —

نبع الحب

زهور

72

www.liilas.com



قمر الليل

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٠٩ شارع سويفت بالقاهرة - القاهرة - ت ٨٤٥٠٠٠

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

زهور

المؤلف



ا. شريف شوقي

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

www.liilas.com

نبع الحب

التقيا بجوار النبع ..
كانت زهرة في صحراء
أحزانه ، وكان قطرات ندى بعثت
الحياة في مشاعرها .. تُرى
أيجف نبع الحب ؟ أم يبقى
متدفقاً في قلبيهما ؟

72

قمر الليل

٦٧١٥

التمن في مصر ١٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

١ - فارس الأصـلام ..

وقف (كامل) يلتقط أنفاسه من أثر الجهد الشاق
الذى بذله منذ الصباح ، فى جمع حبات البرتقال ، من
أشجار مزرعته الصغيرة .

حينما حانت منه التفاتة إلى ابنته الشابة (سلوى) .
كانت الفتاة مستغرقة فى جمع حبات البرتقال من
بين فروع الأشجار ، وقد تهدلت خصلتان من خصلات
شعرها القصير فوق جبينها الذى أخذ يتصبب عرقاً .
بينما تدلت أطراف بلوزتها فوق حزام البنطلون
المحيط بخصرها .

تأمل الأب ابنته وهى على هذه الحال ، وقد تملكه
إحساس بوخز الضمير ، فمئذ أن أتى بها إلى هذا
المكان المنعزل ، وهى تشاركه هذا العمل الشاق ،
دون كلل أو شكوى .. عدا نظرة الحرمان التى كان
يراهها دائماً فى عينيها .. والتى تشير إليه بأصابع
الاتهام .. وتشعره بالجرم الذى ارتكبه فى حقها .

لقد أتى بها إلى الوادي الجديد منذ عشر سنوات ،
وعمرها لم يتجاوز الثانية عشرة ، لتقيم معه في ذلك
المكان النائي ، بعيداً عن المدينة ، وبعيداً عن الحياة
الاجتماعية ، التي كانت تستحق أن تعيشها أى فتاة
مثلاً ليصبح هو كل عالمها تقريباً .

وقد وقع اختياره على هذا المكان بالذات ، بعد أن
قرر اعتزال الناس ، والتفرغ لتربية ابنته فى هذا
المكان النائي .

جلس (كامل) على الأرض ، وأسند ظهره إلى
جذع شجرة ، بينما عيناه تحدقان فى الأفق الممتد
أمامه .. وقد عاودته ذكريات ماضيه الأليم .. وحب
القديم لـ (كوثر) .

ذلك الحب الذى ملك عليه كل حواسه ، فاستسلم
له ، وجعله لا يرى الحقيقة التى كان ينبغى عليه أن
يراه .

حقيقة امرأة لا تقيم وزناً لأى قيمة من القيم التى
تعارف عليها البشر .

امرأة أعماها الطمع والجشع .. فضحت بزوجها
وابنتها من أجل أنانيتيها .

لا بد له أن يعترف بأنها لم تكن وحدها هى المخطنة .
لقد أحبها وتزوجها برغم ما كانت تنبئ عنه
طباعها ، من أنها ليست المرأة التى تصلح لأن تحمل
اسمه .. وتشاركه حياته .

لكن حبه لها جعله غائباً عن الوعي .
أثقلت عليه بمطالبها المادية التى لم تنقطع ،
فاضطر لأن يسافر ويذوق مرارة الغربة فى إحدى
البلدان العربية ، من أجل أن يحقق لها جزءاً من
مطالبها .

وظل يرسل لها نقوداً من البلد الذى يعمل به ،
ويغدق عليها من كده وجهده ، محاولاً استرضاءها
بأية وسيلة .

لكن بدلاً من أن تقدر قيمة ما فعله من أجلها ،
وتضحيتها فى سبيل حبه لها ، استولت على ماله الذى
جمعه بالجهد والعرق ، لتضعه فى حسابها بأحد
البنوك .. ثم طالته فى النهاية بالطلاق .

وعلم بالحقيقة متأخراً .. علم أنها قد تعلقّت فى
غيايه بشاب أغواها بكلماته المعسولة .. واستطاع أن
ينسبها واجبها وضميرها كزوجة وأم لطفلة صغيرة .

وعندما صدمته الحقيقة طاش صوابه .. واتتابته
حالة جنونية جعلته يعتدى عليها بالضرب المبرح ..
ثم قاد سيارته وهو فى حالة من اللاوعى ،
ليصطدم بأحد الأشخاص ويتسبب فى موته .
ودخل السجن ليقتضى به خمس سنوات كاملة
ضاعت من حياته .

وفى السجن اكتملت عناصر الغدر والخيانة .
طلبت الزوجة الطلاق .. وتحقق لها ما طلبته ، بعد
أن دمرت حياته واسودت على الناس .
ثم تزوجت من الشخص الذى باعت زوجها من
أجله .

عاش (كامل) سنوات السجن فى عزلة عن
الجميع ، وتملكه إحساس جارف بكرهية البشر خارج
أسواره .

وحينما غادره لم يكن له مطلب سوى استعادة
ابنته .

ولم يحتاج فى سبيل ذلك إلى بذل الكثير من الجهد ..
فقد سلمته الأم ابنتها بمجرد مطالبته بها .. وكأنها
كانت تسعى للتخلص منها .

وأحس (كامل) بأنه لم يعد قادراً على ممارسة
آية حياة اجتماعية ، بعد هذه التجربة القاسية التى
عاشها .

فسافر إلى الوادى الجديد ، واشترى هذه المزرعة
الصغيرة بما تبقى له من مال ، وبرفقتة ابنته ،
ليقتضى بها بقية حياته ، يأكل من إنتاجها ، وينفق من
محصول الموالح البسيط ، الذى تدره المزرعة كل
عام باندوار الكافى لإعاشته هو وابنته .

لما كانت (سارة) فى الخامسة من
المباهج التى تستحق أن تعيشها فتاة فى مثل عمرها ..
ولابد له أن يعترف بأنه كان أنانياً فى فرضه لهذه
الحياة الخشنة عليها ، لكن .. ماذا يفعل وقد أصبحت
هذه الفتاة هى الشيء الجميل الوحيد الذى تبقى له
من دنياه الظالمة ؟

بل أصبحت كل شيء فى حياته ، بعد أن فقد الزوجة
والأهل والأصدقاء . وكيف يتسنى له أن يعيش بدونها ،
وهى الوحيدة التى تؤنس وحدته فى هذا المكان
المنعزل ، وتمنحه الدفء العاطفى الذى يفتقده بحنان
بنوتها الدافق .

وعندما صدمته الحقيقة طاش صوابه .. وانتابته
حالة جنونية جعلته يعتدى عليها بالضرب المبرح ..
ثم قاد سيارته وهو فى حالة من اللاوعى ،
تصطدم بأحد الأشخاص ويتسبب فى موته .
ويُقتل السجن ليقتضى به خمس سنوات كاملة
ساعت من حياته .

وفى السجن اكتملت عناصر الغدر والخيانة .
علقت التروجة الطلاق .. وتحقق لها ما طلبته ، بعد
أن سررت حياته واستولت على ماله .
ثم تزوجت من الشخص الذى باعت زوجها من
ابنته .

عاش (كامل) سنوات السجن فى عزلة عن
الجميع ، وتملكه إحساس جارف بكرهية البشر خارج
أسواره .

وحينما غادره لم يكن له مطلب سوى استعادة
ابنته .

ولم يحتج فى سبيل ذلك إلى بذل الكثير من الجهد ..
فقد سلمته الأم ابنتها بمجرد مطالبتها بها .. وكأنها
كانت تسعى للتخلص منها .

وأحسن (كامل) بأنه لم يعد قادراً على ممارسة
ياة حياة اجتماعية ، بعد هذه التجربة القاسية التى
عاشها .

فسافر إلى الوادى الجديد ، واشترى هذه المزرعة
الصغيرة بما تبقى له من مال ، وبرفقتة ابنته ،
ليقتضى بها بقية حياته ، يأكل من إنتاجها ، وينفق من
محصول الموالح البسيط ، الذى تدره المزرعة كل
عام بالقدر الكافى لإعاشته هو وابنته .

لقد عاشت (سلوى) معه حياة قاسية .. خالية من
المباهج التى تستحق أن تعيشها فتاة فى مثل عمرها ..
ولا بد له أن يعترف بأنه كان أنانياً فى فرضه لهذه
الحياة الخشنة عليها ، لكن .. ماذا يفعل وقد أصبحت
هذه الفتاة هى الشيء الجميل الوحيد الذى تبقى له
من دنياه الظالمة ؟

بل أصبحت كل شيء فى حياته ، بعد أن فقد الزوجة
والأهل والأصدقاء . وكيف يتسنى له أن يعيش بدونها ،
وهى الوحيدة التى تؤنس وحدته فى هذا المكان
المتعزل ، وتمنحه الدفء العاطفى الذى يفتقده بحنان
بنوتها الدافق .

ثم .. ربما كان هذا هو التوضع الأمثل بالنسبة لهما
فى ظل الظروف الحالية .

فأمرها لا ترحب كثيراً بوجودها معها .. ولا أقارب
لهما يمكنه أن يتركها فى رعايتهم .

وتوقف عن التفكير برهة .. كما لو كان يأبى أن
يستطرد فى خداع نفسه بهذه المبررات الواهية .

فهو يعلم جيداً ، أنها ليست سوى محاولات منه
لإسكات ضميره ، الذى يؤنبه بين الحين والآخر بشدة ..
بسبب هذه الفتاة المسكينة ، التى فرض عليها أن
تعيش فى هذا المكان المقفر .

وأن تحرم من مواصلة دراستها ، وممارسة حياة
اجتماعية سليمة .

نهض الأب من جلسته ، واقترب من ابنته ليتأملها
بإعجاب والابتسامة على وجهه ، قائلاً لنفسه :

- يا لها من فتاة جميلة ، إن جمالها يتحدى خشونة
المكان .

لاحظت (سنوى) وجوده ، فتوقفت عن العمل
وهى تنظر إليه باستغراب ، وهى ترى تلك النظرة
المتأملّة فى عينيه قائلة :

***** ١٠ *****

- أبى !

يتسم الأب قائلاً :

- أعانك الله يابنيتى .

أصحت بالاغتباط لتقديره لمجهودها قائلة :

- لقد بذلت جهداً كبيراً اليوم يا أبى .. فتماذا

لا تذهب إلى المنزل لتستريح ؟

مسح الأب حبات العرق عن جبين ابنته قائلاً بحنان :

- لقد بذلت جهداً أكبر .. ومن حقك أن تستريحى

أنت أيضاً .

سألته قائلة :

- هل أعد لك الطعام ؟

قال لها الأب :

- إبنى أقول (تستريحين) لا أن تبذلى جهداً آخر ..

ثم إبنى لا أشعر بجوع الآن .

لماذا لا تعودين إلى المنزل ، وتستلقيين على فراشك

قليلاً ؟

- إن التاجر الذى سيشتري البرتقال .. سيحضر بعد

الغد ، ولا بد من أن تسرع بجنى المحصول قبل

وصوله .. وإلا تركنا وذهب إلى مزارع أخرى .

***** ١١ *****

- لقد جمعنا تقريباً ثمانين فى المائة من المحصول ،
وبإمكاننا جمع بقية البرتقال فى الفترة المتبقية على
حضوره .. فالمزرعة كما ترين صغيرة ولا تحتاج لأن
نقتل أنفسنا فى سبيل جنى حصيلتها من البرتقال .
هيا .. اذهبي لتستريحى فى المنزل .
- ما دام الأمر كذلك .. فإبنى أفضل التجوال قليلاً .
- حسن .. ما دامت هذه هى رغبتك .. ولكن
لا تبتعدى كثيراً ، فالمكان كما تعرفين موحش .
ابتسمت (سلوى) قائلة :

- لا تقلقى يا أبى .. فما زلنا فى وضوح النهار .. ثم
إن المكان برغم أنه بعيد عن العمران ، إلا أنه خالٍ
من الحيوانات الضارية .

سوت (سلوى) ثيابها وشعرها .. وغادرت المزرعة
وهى تسرع السير .

فقد كانت تأمل فى الحقيقة أن تتاح لها هذه
الفرصة .. وخشيت أن يشغلها العمل فى المزرعة عن
القيام بجولتها ، التى اعتادت أن تقوم بها خلال الأيام
القليلة الماضية .

خاصة منذ أن رأت ذلك الشاب مصادفة ، وهو

جلس بجوار أشجار النخيل ، فى تلك الواحة الصغيرة ،
التي تبعد عن المزرعة بمسافة كيلو متر واحد .
لقد اعتاد أن يأتى إلى هذا المكان ، منذ ثلاثة أيام ،
 بصورة متكررة ليجلس بجوار النبع الصافى ، وبين
أشجار النخيل ، متأملاً مياه النبع بنظرات حزينة
شاردة ولعدة ساعات .

إلى أن تبدأ الشمس فى المغيب ، فينهض مغادراً
مكتبه ، ليستقل سيارته الجيب ، فى صحبة ذلك
الصوت المهيّب الذى يحيط به .

حينما رآه أول مرة ، جلست ترقبه من بعيد ،
متخفية وراء إحدى أشجار النخيل ، وكأنها ترقب
كائنًا جاء من عالم آخر .. أو لوحة مذهشة .

وقد أحست بإحساس غريب لم تحسه من قبل ،
وتم يسبق لها أن جربته . لقد بدا هذا الشاب بقوامه
القرع ، وجسده المفلتول العضلات ، وشعره الأسود
اللامع ، ومظهره الوقور .. وكأنه يشبه طيفاً مرّ
بخيالها ، أو ظهر فى أحلامها ذات ليلة .

كان يبدو مختلفاً تماماً عما التفت بهم من الرجال
هنا .. من الرعاة وتجار الفاكهة والعاملين فى

المزارع الأخرى ، أو بعض العاملين - الذين يَمرون
بالمكان أحياناً - فى حقول البترول أو مجال التعدين -
كان يشبه أحد فرسان هذه المدينة التى فارقتها
وهى صغيرة ، وما زالت بعض صورها تعيش فى
مخيلتها .

وعاشت منذ أن رآته ، تتخيل أنه جاء ليحملها إلى
هناك . يومها أعجزها الخوف والخجل عن أن تظهر له
نفسها ، أو تتحدث إليه .. واكتفت بمراقبته من بعيد .
لكنها تمنت أن يأتى إلى هذا المكان مرات أخرى
وأن تتاح لها الفرصة لرؤيته من جديد .

لم تكن تأمل فى أكثر من ذلك .. ولم تكن تطمح
حتى فى أن يلاحظها أو يبدى شيئاً من الاهتمام نحوها .
لقد أصبحت رؤيتها له ، هى أقصى آمانيها ، وهى
المتنفس الوحيد لها ، فى ظل هذا الجفاف الذى تحياه .
كانت الشمس ترسل بأشعتها الذهبية على المكان ..
ولم تشعر (سلوى) بقيظها .. إذ كانت مشغولة البال
بالتفكير فى ذلك الشاب ، وهى تتساءل عما إذا كان
سيأتى إلى الواحة هذه المرة أيضاً ، أم أنها لن تراه
بعد ذلك .

كانت فى شوق جارف إلى معرفة السر وراء نظراته
الحزينة ، والدافع الحقيقى وراء مجيئه إلى هذا
المكان .
وأرادت أن تحفز نفسها ، وتستجمع شجاعته ،
لتحدا عالمه الصامت والتحدث إليه .

واستيقظت (سلوى) من شرودها ، على صوت
لغة البدوية (رابحة) ، وقد أخذت تناديه ، وهى
تسوق أمامها أغنامها قائلة :

- يا ست (سلوى) .

لتفت (سلوى) إليها قائلة :

- أهلاً (رابحة) .

سألتها (رابحة) قائلة :

- لقد ناديتك كثيراً لكنك لم تجيبينى .

- آسفة .. لقد كنت شاردة .

- ولم هذا الشرود ؟

- (رابحة) .. هل مررت على النبع وأنت قادمة

إلى هنا ؟

أجابتها رابحة قائلة :

- إننى آتية من هناك على الفور .

قالت لها (سلوى) متلثمة :

- ألم ترى أحداً هناك ؟

ضحكت (رابحة) قائلة فى خبث :

- كلا .. إن الشخص الذى تبحثين عنه لم يكن موجوداً هناك .

اضطربت (سلوى) وقد تضرع وجهها بالاحمرار قائلة :

- شخص ؟! أى شخص .

قالت لها (رابحة) وهى تواصل ضحكتها :

- الشاب الزين .. الذى تراقبينه منذ يومين .

ارتبكت (سلوى) قائلة :

- ما هذا الذى تقولين ؟

قالت لها (رابحة) مطمئنة :

- ماذا بك يا ست (سلوى) ؟ أنتظنين (رابحة) ..

خادمك وصديقك هنا تفشى السر ؟ يجب أن تتقى بى ، وتطمئنى تماماً .

قالت (سلوى) محاولة الإنكار :

- أى سر هذا الذى تتحدثين عنه ؟ لابد أنه قد أصابك خبل .

- سامحك الله يا ست (سلوى) .. لقد رأيته وأنت

ترقين هذا الشاب من وراء أشجار النخيل ، عند

الريوة المظلة على النبع ، وأعرف أنك تميلين إليه .

قالت (سلوى) وقد أحست بأنها لم تعد تستطيع

الإنكار ،

- أنا ؟!

- نعم .. لكن لماذا لا تحاولين التحدث إليه ؟ حقاً

ته يبدو متجهماً وغائساً دائماً .. لكن ربما لو حاولت

تحدث إليه ..

قالت لها (سلوى) مقاطعة :

- إياك أن تخبرى أبى بهذا الأمر .

- لقد أخبرتك ، أنتى لن أبوح بسرّك مطلقاً .. لو

تعرفين مقدار حبى لك يا ست (سلوى) .

إننى أشعر بأسى .. لأنك تعيشين فى هذا المكان

الذى لا يناسبك .

إننى وغيرى من الفتيات البدويات ، تعودنا الحياة

فى مثل هذه الأماكن ، وحياتنا القبلية تغنيانا عن

الإحساس الذى تشعر به فتاة نشأت فى المدينة مثلك ،

بالوحدة وخشونة الحياة هنا .

ولا أدري لماذا يحكم عليك أبوك بالحياة فى هذا المكان ؟!

- إبنى راضية بحياتى هنا .

- أتخدعيننى أم تخدعين نفسك ؟ إبنى أعرف أنك تضيقين بحياتك هنا .. وأنت تتطلعين لرحيل إلى المدينة .

وربما ساعدك هذا الشاب على ذلك .. وانتشلك من تلك الحياة .

قالت (سلوى) معترضة بغضب على كلمات البدوية .

- (رابحة) .. ما هذا الذى تقولينه ؟

- إبنى أحاول ..

قاطعتها (سلوى) قائلة :

- هيا اذهبي بأغنامك من هنا الآن .

مطت (رابحة) شفيتها قائلة بدلال :

- كما تشائين .. لكن يجب أن تعرفى وتتأكدى ، أن

(رابحة) تحبك وتتمنى لك الخير والسعادة .

ابتسمت (سلوى) وهى تراقب الفتاة البدوية فى أثناء ابتعادها .

كانت تعرف أنها تحبها ، وأنها صديقة فى مشاعرها نحوها .

لكنها أحست بالغضب نحوها ، لأنها كشفت سرها الذى حافظت عليه ، واحتضنته بين جوارحها خلال الأيام الماضية .

أقبلت (سلوى) على الربوة العالية ، التى تطل على الواحة بشوق ولهفة ، وهى تمنى نفسها برؤية .

لكن سرعان ما أصيبت بخيبة أمل .. عندما لم تجده جالساً فى مكانه المعتاد ، بل رأت مجموعة من الرعاة ، وقفوا يسقون إبلهم من مياه النبع .

أحست باضطراب شديد .. واكتفى وجهها بمسحة من الحزن ، وهى تتساعل :

- لماذا لم يأت إلى النبع اليوم كما اعتاد فى الأيام السابقة ؟

أ يكون قد أتى وانصرف ؟

لكنه لم يعتقد أن يرحل بمثل هذه السرعة .

ربما حينما رأى الرعاة يحيطون بالنبع ، أثر الابتعاد وقرر أن يعود من حيث أتى .

جعلها غير قادرة حتى على أن تستدير لترى من
يحادثها .

لكنها اضطرت لأن تلتفت خلفها ، حينما كرر محدثها
سؤاله لها .

وازداد قلبها خففاً .. حتى إنها أحست بأنه يكاد أن
يتوقف عن النبض ، فقد كان محدثها هو نفسه ذلك
الشاب الذي جاءت لتراه .

★ ★ ★



أم يكون قد ملّ الحضور إلى المكان ؟ أو ربما غادر
الوادي بأسره ؟

اجترقها شعور بالأسى ، حينما وصلت إلى هذه
المرحلة من التفكير .

فقد بدأت تعتاد رؤيته .. وأحست بافتقاد شديد له
برغم أنها لم تره إلا بضعة أيام قليلة .

لكن هذه الأيام القليلة ، جعلتها تتعلق بهذا الشاب
المجهول ، الذي لا تعرفه . ولم تتحدث إليه .

استغرقها هذا الحزن المفاجئ وهي تتساءل في
حيرة :

- هل شاء لها القدر ، أن يظهر هذا الشخص في
حياتها كبرق خاطف ، ليحمل لها مشاعر لم يسبق لها
أن عرفتھا ، وآمالاً لم تحلم بتحققها ، ثم يختفي فجأة ،
لتخمد المشاعر التي استيقظت ، وترحل الآمال التي لم
تتحقق .. ولا يبقى لها سوى ظلمة حياتها الموحشة ؟
واستيقظت من مشاعرها الحزينة وأفكارها المضطربة
على صوت رخيخ يأتي من خلفها قائلاً :

- ماذا تفعلين هنا ؟

خفق قلبها بشدة .. وأحست باضطراب شديد ،

٢ - لقاء النبع ..

عجز لساتها عن النطق وهى تراه ماثلاً أمامها .
فسألها قائلاً :

- هل أنت بكاء ؟

ازدردت لعابها وهى تنطق بصعوبة قائلة :

- لقد .. لقد فاجأتنى .

قال بجفاء :

- إذن .. فأنت تستطيعين الحديث .. هل تخبريننى

إذن لماذا كنت تراقبيننى خلال الأيام الماضية ؟

تصرج وجهها بالاحمرار ، وقد أحسست بالخجل الشديد .

إذن .. فقد كان يعرف أنها تراقبه .

لكن لماذا لم يبذ عليه ذلك ؟ وكيف تسنى له أن

يعرف ؟

سألها قائلاً :

- لماذا لا تجيبين ؟

قلت له محاولة الدفاع عن نفسها :

- إننى لم أفعل ذلك .. لقد اعتدت المجيء إلى هذا المكان من آن لآخر .. لقد أخففتى بظهورك المفاجئ هكذا .

حدها بنظرة فاحصة قائلاً :

- حقاً .. أتظنين أننى لم أكن أراك ؟ ماذا تريدين

منى ؟

قالت له بصوت مضطرب :

- ما الذى تريده أنت منى ؟

قال لها بجفاء :

- إننى لا أحب المتطفلين .

قالت له محتجة :

- لكنى لست متطفلة .. أنت الذى تطفلت على الآن .

نظر إليها وفى عينيه تساؤل قائلاً :

- إننى لا أدرى .. ما الذى تفعله فتاة مثلك هنا ؟

أجابته قائلة :

- إننى أقيم على بعد كيلومتر من هنا .

قال لها بدهشة :

- فى هذا المكان النائي ؟

- إننى أعيش مع أبى فى المزرعة التى نمتلكها .
سألها قائلاً :

- وهل توجد مزارع هنا ؟
- نعم .. توجد عدة مزارع متفرقة إحداها يمتلكها
أبى .
سألها قائلاً :

- هل أنت من الوادى الجديد ؟
أجابته قائلة :
- كلا .. إننى من القاهرة .
قال لها بدهشة :

- من القاهرة !! وما الذى أتى بك إلى هذا المكان ؟
هل أنت فى زيارة مثلاً لأبيك ؟
- لقد قلت لك إننى أعيش معه فى المزرعة .
عاد ليسألها قائلاً :

- ومنذ متى وأنت تعيشين فى هذا المكان ؟
أجابته قائلة :
- منذ عشر سنوات .
قال لها بتعجب :

- عشر سنوات .. عشر سنوات وأنت تعيشين هنا ..
هل سافرت خلالها إلى القاهرة ؟

قالت له وهى تتكمش بجوار شجرة النخيل :
- كلا .

سألها قائلاً :
- ما اسمك ؟
أجابته فى براءة :
- (سنوى) .

مد لها يده مصافحاً وهو يقول :
- أعرفك بنفسى .. أنا اسمى (عماد) .
مهندس كيميائى وأعمل فى مجال التنقيب عن
البتروول .

نظرت إلى يده مترددة وقد اعتراها شيء من
الخوف .. ثم ما لبثت أن مدت له يداً مرتعشة لتصافحة
بها .

نظر إليها وهو يبتسم للمرة الأولى قائلاً :
- هل أنت خائفة منى ؟
هزت رأسها نفيًا .
فقال لها :

- إذن لماذا ترتجفين هكذا ؟ هيا اجلسى ودعينا
نتحدث .

ظلت منكشمة فى مكانها ، وعلى وجهها أمارات
التردد .

فقال لها مشجعاً ، وهو ينظر إلى مكان النبع ،
وكان الرعاة قد فارقوه :

- أترغبين فى أن نجلس قليلاً بجوار النبع ؟ أعتقد
أن الجلوس هناك سيكون أفضل .

لم تجبه .. فعاد ليقول لها وهو يتقدمها :

- هل تمانعين ؟

استجابت لدعوته ببطء مترددة .
ثم سرعان ما وجدت نفسها تسير بجواره ، وهى
ترقبه بنظرات مختلصة .

كان الأمر يبدو بالنسبة لها أشبه بالحلم .
فها هو ذا الرجل الذى ظل يشغل تفكيرها خلال الأيام
الماضية .. والذى كانت تسعد برؤيته من بعيد ..
الرجل الذى احتل مساحة كبيرة من خيالها وأحلامها .
ها هو ذا يسير بجوارها ويحدثها ، ويطلب منها
مجالسته .

توقف أمام بقعة خضراء بجوار النبع .. قائلاً :
- هذا هو مكاتى المفضل .. لا بد أنك قد عرفت ذلك
من خلال مراقبتك لى خلال الأيام الماضية .

قالت له محتجة :

- قلت لك إبنى لم أكن أراقبك .

ابتسم قائلاً :

- أظن أنك كاذبة .

قالت له متلثمة :

- كيف .. كيف تنعتنى بذلك ؟

- لأن هذه هى الحقيقة .. هيا .. لماذا لا تجلسين ؟

قالت له وهى تحاول إخفاء ارتباكها بالتظاهر

بالغضب :

- لا أرغب فى الجلوس .

ابتسم قائلاً :

- لا بأس إذن .. من أن تبقى واقفين .

تأمنها برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

- لا بد أنك لم تنالى حظك من التعليم .. ما دمت قد

عشت كل هذه السنين دون أن تفارقي ذلك المكان .

قالت له بصوت خافت :

- لقد حصلت على الشهادة الابتدائية من القاهرة ..

ثم أكمل أبى تعليمى بنفسه .. فكان يحضر لى الكتب

تستذكرها معاً .

قل لها وفي عينيه نظرة تعاطف حقيقية :

- لم يكن هذا ليقتنى عن أن تنال حظك من التعليم الرسمي .. كان من الممكن أن تكونى فى الجامعة الآن .

قالت له وقد أحست بأنه يستصغر شأنها :

- إن أبى يحتفظ بمكتبة كبيرة فى منزلنا بالمزرعة وقد قرأت كل الكتب الموجودة فيها تقريباً ، حتى أصبح لدى قدر من الثقافة يفوق مثيلاى ممن حصلوا على شهادات جامعية .

سألها قائلاً :

- لماذا اختار أبوك هذا المكان لتعيشا فيه ؟

قالت له بصوت ينطوى على رنة من الحزن :

- لقد أثر أبى العزلة والابتعاد عن الناس .

- إذا كان هذا هو اختياره .. فلماذا فرضه عليك ؟

- لأننى ابنته .. وينبغى أن أكون معه حيث يكون

- ووالدتك ؟

- لقد ماتت .

- أليس لكما أى أقارب بعيدين عن هنا ؟

- كلا .. لماذا تسأل هذه الأسئلة ؟

- لك تثيرين فضولى .

جست على الأرض العشبية المجاورة للنبع قائلة :

- حسن .. إذا كنت تريد أن تجلس فلنجلس ، لأننى

تعت من الاستمرار فى الوقوف هكذا .

انهم وهو يجلس بجوارها قائلاً :

- آخر ما كنت أتوقعه ، هو أن ألتقى بفتاة مثلك

هنا .

سأله قائلة :

- لماذا ؟ هل أبدى مختلفة عن الآخرين هنا ؟

- إن هؤلاء الآخرين الذين تتحدثين عنهم ، يعدون

على أصابع اليد الواحدة .. ثم إنك تبدين مختلفة

باعتقاد

- هل أستطيع أن أسألك بدورى عن سبب مجيئك

إلى هذا المكان ؟

جست برهة قبل أن يقول :

- أظن أن هذه الواحة هى أجمل بقعة فى هذا

المكان .. لذا فمن الطبيعى أن يحب المرء المجيء

إليها .

نظرت إليه قائلة :

- لا أظن أن هذا هو السبب الحقيقي .

التفت إليها بدهشة قائلاً :

- لماذا تقولين ذلك ؟

- لأن تلك النظرة الحزينة الشاردة ، التي كنت

أراها في عينيك وأنت جالس بجوار النبع ، تنطوى على ما هو أكثر من ذلك .

قال لها بصوت يغلب عليه الحزن :

- هأنت ذى قد اعترفت بأنك كنت تراقبينى فى أثناء

جلوسى هنا .

قالت له وهى تخفض بصرها خجلاً :

- نعم .. لقد فعلت ذلك .. أظن أنه لا بد لى أن

اعترف .

قال لها محاولاً التخفيف من إحساسها بالحرج :

- ولماذا أنت خجلة هكذا ؟

- لأننى أظن أن هذا لم يكن تصرفاً لائقاً من جانبى .

- من الطبيعى أن رؤيتك لى قد أثارت فضولك .

- هل تنوى البقاء هنا لفترة طويلة ؟

- كلا .. إننى سأعود إلى القاهرة خلال الأسبوع

القادم .

فقد جئت فى مهمة عمل قصيرة .. أما عملى

الأساسى فهو فى القاهرة .

قالت له وقد اعترأها الحزن :

- إذن فلن تأتى إلى هذا النبع بعد ذلك .

قال لها وقد لاحظ ملامح الحزن المرئسة على وجهها :

- هل يهمك أن آتى ؟

قالت له بتلقائية :

- نعم .

سألها قائلاً :

- لماذا ؟

هزت كتفها قائلة :

- لا أدرى .

- ربما لأننى الرجل الوحيد الذى التقيت به فى هذا

المكان غير أبوك .

- كلا .. لقد رأيت الكثيرين من الرجال الذين تصادف

مرورهم بهذه المنطقة بالطبع .. فأنا لا أحيا فى جزيرة

معزولة .. كما أنتى ذهبت إلى مدينة الوادى الجديد

عدة مرات ، وصادفت أشخاصاً آخرين .. لكنك تبدو

مختلفاً .

فمـر الـليل

- كيف ؟

- لا أدري .. هذا هو ما أحسه .. أنت تبدو مختلفاً

على الأقل بالنسبة لى .

تأملها قائلاً :

- أنت أيضاً تبدين بالنسبة لى كذلك .. إنك تذكريننى

بالبراءة .

البراءة التى أصبحت مفقودة فى حياتنا .

ربما كان وجودك فى هذا المكان الجاف البعيد عن

حياة اجتماعية حقيقية ، فيه شىء من الإحسان

بالنسبة لك .. لكنى أظن أنه قد أبعدك عن الكثير من

عيوب وشروء البشر .

تطلعت إليه فى تساؤل قائلة :

- وكيف أمكنك أن تحكم على بذلك .. ونحن لم

نلتق إلا منذ عدة دقائق ؟

- أظننى لا أحتاج لأكثر من هذه الدقائق القليلة ،

لكى أكتشف هذه الحقيقة .

قالت له وهى تحاول أن تتجاسر بمواجهة نظرات

عينيه اللتين تحدقان بها :

- أنا أيضاً لم أحتج لوقت طويل ، لكى أقرر أنك

تعالى أزمة ما ، ولكى أرى ذلك الحزن الدفين فى

عينيك ، برغم الابتسامة التى تحاول أن ترسمها على

وجهك .

ازدادت دهشته وهو يتأملها .. وقد بدا وكأنه

يكتشف المزيد فى هذه الفتاة الجالسة أمامه مع مرور

الوقت قائلاً :

- كيف استطعت أن تقررى ذلك ؟

- تماماً .. كما استطعت أنت أن تحكم على بالبراءة ..

أظن أننا متشابهان .

فوجئ بتلقائيتها .. فظل يحقّق فيها لبرهة .. ثم

غادر مكانه وأولاهها ظهره ، وهو يستند إلى جذع

شجرة قائلاً :

- كلا .. لا أظن أن هذا صحيح .

نهضت بدورها لتقف بجواره قائلة :

- ما الذى يجعلك تظن ذلك ؟

التفت إليها قائلاً :

- لأنك بفطرتك السليمة ، تستطيعين الحكم على

الأدوار حكماً صحيحاً ، وغالباً ما يكون صادقاً .. أما

أنا فبرغم علمى .. وتجاربى ، لم أستطع أن أحكم على

فتاة عرفتھا حکماً صحیحاً .. وترکت عشاوة الحب
تعمینی عن أن أراها فی صورتها الحقیقیة .

قالت له بتعاطف :

- ألا یقولون إن الحب أعمی ؟ إذن فهذا هو سبب
وجودك هنا .. إنك تحاول الهرب .. الهرب من قصة
حب فاشلة .

نظر إليها یتمعن قائلاً :

- من أين لك معرفة هذه الأمور ؟ لا أظن أن فتاة
مثلك قد مرت بتجربة حب ، أو عاشت مثل هذه
المشاعر فی مكان كهذا .

ابتسمت فی مودة قائلة :

- لست بحاجة لأن أمر بتجربة حب ، أو أن أعیش
هذه المشاعر ، لكي یمكننی تعرف رجل یعانی قصة
حب فاشلة .

سألها قائلاً :

- کیف ؟

احتفظت بابتسامتها الودود قائلة :

- إنها الفطرة باباشمهندس .. هل نسیت ما قلت

عنی الآن ؟

عادت لتجلس فوق أحد الأحجار الضخمة فی
ساحتها ، وهي تستطرد قائلة :

- حدثنی عنها .

- عن من ؟

- تلك الفتاة التي أتت بك إلى هذا المكان .

قال لها وقد عادت ملامح الحزن لتكسو وجهه :

- أفضل ألا أتحدث عنها .

هزت كتفیهها قائلة :

- كما تريد .. لكنی أظن أن الإنسان بحاجة لشخص
یحدثه عن همومه وأحزانه .. كما أظن أنك لم
تحدث لأحد من زملائك فی الموقع الذي تعمل به ،

عن السر الذي تطويه بین جوانحك .. وإلا ما كنت قد
جئت بمفردك إلى هنا ، لتجلس الساعات الطوال أمام
البحر ، تجتر أحزائك ، وتسترجع ذکریاتك الأليمة .

قال لها بضيق :

- هل تعرفین ؟ لقد بدأت تغضبیننی .. لقد حان

موعد عودتی إلى موقع العمل .. وأظن أنه یتعین
علیک أن تعودی أنت أيضاً إلى منزلک .

قالت له معذرة وقد اعتراها شيء من الاضطراب :

- أرجوك لا تغضب مني .. فما قصدت إلا أن أخفف
من أحزانك قليلاً .

ابتسم قائلاً :

- حمدن .. إننى لست غاضباً منك .

- إذن .. هل تبقى قليلاً ؟

- يتعين على أن أعود إلى عملى الآن .

- هل ستأتى إلى التبع غداً ؟

- ربما .

- ما دمت لن ترحل غداً .. فلا يوجد ما يحول دون

مجيئك .

نظر إليها قائلاً :

- وأنت .. هل ستأتين ؟

قالت له سريعاً :

- نـ .. نعم .

- إذن .. فسوف أتى .

واستطرد قائلاً :

- وربما أخبرتك عن الفتاة التى جاءت بى إلى هنا

★ ★ ★

٢ - العزن النبيل ..

انصرفت وقلبيها يرقص بين ضلوعها طرباً .. وأخذت
تقفز فى الهواء كطفلة صغيرة تلهو وتمرح .. إذ
أحست بأن الحياة تظهر لها وجهاً مختلفاً لأول مرة ،
منذ أن جاءت إلى هذا المكان .

وأن الأثر الذى تركته فى نفسها رؤيتها لهذا
الشخص أول مرة .. لم يكن مجرد شعور عابر .. بل
إن القدر خطط ودبر لهذا اللقاء ؛ ليعوضها عن
حرمان السنين الماضية .

فإحساسها الأول نحوه .. نما وتزايد حينما التقت
به وتحدثت إليه ، وتملكها شعور غامض بأن كلاً
منهما ينتمى إلى الآخر .

نعم .. إن إحساسها يتزايد بأن هذا الشخص ، هو
قارس أحلامها الذى طالما تمنته ورأته فى أحلام
يقظتها .. وخیالاتها .

وما أسعد المرء حينما يرى حلمًا جميلاً يتحقق فى

واقعه .. وخيالاً عاش به سنوات طويلة يتحول إلى حقيقة .

لكن سرعان ما انقبضت أسارير وجهها ، عندما تذكرت ما قاله لها عن رحيله القريب .

إن هذا يعنى أن حلمها سيتبدد فى وقت قصير . وأن الحرمان الذى عاشته وتقبلته ، سيتحول بعد فترة وجيزة إلى واقع كئيب وحرمان أكبر ..

ماذا ستفعل بدونه إذا رحل ؟ توقفت وقد غمرها إحساس بالخوف من المستقبل وأخذت تتساءل فى حيرة عن السر المختفى وراء هذا النوع من المشاعر الإنسانية ؟

لقد التقت بإنسان منذ دقائق .. لكنها أحست بأنها يماً عليها عالمها كله .. وأن هذه الدقائق القليلة توافى عمراً عاشته .

وها هى ذى تخشى على سنوات عمرها القادمة أن تحياها بدونه . فما معنى هذه المشاعر والأحاسيس ؟ وأى سحر سكررة هكذا مثل هذه الأيام .

هذا الذى استولى على كيائها ، وفجر كل هذه المشاعر والأحاسيس التى لم تحسها من قبل ؟ أياها هو - وهل وجدت مكاناً آخر أذهب إليه لأسرى عن الحب الذى قرأت عنه فى الروايات ؟

فما معنى هذه المشاعر والأحاسيس ؟ وأى سحر سكررة هكذا مثل هذه الأيام . هذا الذى استولى على كيائها ، وفجر كل هذه المشاعر والأحاسيس التى لم تحسها من قبل ؟ أياها هو - وهل وجدت مكاناً آخر أذهب إليه لأسرى عن الحب الذى قرأت عنه فى الروايات ؟

فما معنى هذه المشاعر والأحاسيس ؟ وأى سحر سكررة هكذا مثل هذه الأيام . هذا الذى استولى على كيائها ، وفجر كل هذه المشاعر والأحاسيس التى لم تحسها من قبل ؟ أياها هو - وهل وجدت مكاناً آخر أذهب إليه لأسرى عن الحب الذى قرأت عنه فى الروايات ؟

فما معنى هذه المشاعر والأحاسيس ؟ وأى سحر سكررة هكذا مثل هذه الأيام . هذا الذى استولى على كيائها ، وفجر كل هذه المشاعر والأحاسيس التى لم تحسها من قبل ؟ أياها هو - وهل وجدت مكاناً آخر أذهب إليه لأسرى عن الحب الذى قرأت عنه فى الروايات ؟

حركت كلمات الفتاة شجون الأب ، وأعادت إليه
إحساسه بالذنب ، لما يفرضه على ابنته من حرمان ..
بوجودها معه فى هذا المكان ، فقال لها وفى صوته
ما ينم عن إحساسه بذنبه نحوها :
- يا بنيتى إن المنطقة هنا حولنا بعيدة عن العمران ..
وأنا أخاف عليك من ..

قالت له بنبرة هادئة :
- لا تخش على من شيء يا أبى .. لقد ألفت المكان
هنا .. وكل الأشخاص القلائل الذين يمرون هنا
يعرفوننى ويعرفونك ولن يمسنى أحدهم بسوء ..
لكن لماذا غادرت المزرعة ؟
- لقد قلقت عليك بسبب تأخرى كل هذا الوقت
فجئت لأبحث عنك .

- إذن هيا بنا نعود لمواصلة العمل .
قال الأب وهو يحيط كتف ابنته بنراعه محاولاً
التسرية عنها :

- كلا .. لا مزيد من العمل اليوم .. سأخذك ونذهب
معاً إلى المدينة ، ونقضى بعض الوقت فى التنازل
هناك .

قالت له ابنته ، وهى تقدر محاولته التخفيف من
إحساسها بالوحدة والملل :
- كلا يا أبى .. لا داعى لذلك .. فأنا أفضل العودة
إلى المنزل .

- لا بأس ما دامت هذه هى رغبتك .. على أية
حال ، لقد أعددت لك طعاماً رائعاً .. دعينا نلتهمه
معاً .. ثم نخلد إلى الراحة بقية اليوم .

كانت الفتاة بحاجة لأن تخلو إلى نفسها ، حتى
تعيش هذه الأحاسيس الجميلة التى تمتعت بها منذ
صغير ، وهى بصحبة (عماد) .
لقد خلف لها هذا اللقاء عالماً مسحرياً تؤثر أن
تستمتع بكل لحظة فيه .

نعم .. إن الأوقات السعيدة قليلة فى حياتها .. لذا
عليها أن تنعم بهذه السعادة .

فلتنس مخاوفها بشأن رحيله .. ولتنس ما يمكن
أن يطرأ على حياتها إذا ما فارقها بعد أن عرفتة .

ولتنس حتى تلك الفتاة التى استولت على قلبه ،
وشغلت تفكيره ، على نحو يجعل فرصتها ضئيلة فى
أن تحوز قدراً من مشاعره واهتمامه .

فلتس كل شيء .. ولتفكر فقط فى تلك اللحظات
السعيدة التى التقت خلالها به ، وتستعيد حديقته معها ،
ونظراته إليها .. ووجوده بجوارها ، وتلك المشاعر
الغامضة التى احتوتها وهى معه .

★ ★ ★

كان جالساً فى مكانه المعتاد بجوار النبع .. وعاد
قلبها ليخفق بشدة حينما رآته .

وكان مجيئها إلى هذا المكان مختلفاً عن المرات
السابقة .

فلم يعد هو ذلك الرجل الذى كانت ترقبه خلسة ،
من فوق الربوة المطلة على النبع .

إنه هذه المرة .. الرجل الذى تحدثت إليه ، وحرك
لديها أحاسيس لم تعرفها من قبل .

لقد جاءت إلى النبع كما لو كان هذا هو موعدها
الغرامى الأول .. أو هكذا أرادت أن توهم نفسها ،

وهى تغادر منزلها فى طريقها للقاءه .

ابتسم حين رآها .. ونهض مرحباً وهو يصفحها
قائلاً :

- ظننت أنك لن تأتى .

ابتسمت قائلة :

- لقد وعدتك .

دعاها للجلوس قائلاً :

- فى الحقيقة .. لقد كنت أستمع بهدوء المكان
وسكينته ، كما كنت أستريح لانعزاليتى هنا ، بعيداً

عن رفقة زملاء العمل ، لكن بعد أن ظهرت أنت فى
هذا المكان .. وتحدثنا معاً .. أصبح هذا ثقيلاً على

نفسى .. ووجدتني أتوق إلى رؤيتك .

- كنت أخشى أن أكون قد اقتحمت عليك عزلتك .

ابتسم قائلاً :

- لا تنسى أننى أنا الذى فاجأتك وأنت رابضة فوق
هذه الربوة .

قالت له بصوت خافت :

- لقد أخففتى .
- آسف .. إذا كنت قد فعلت ذلك .
- رانت بينهما لحظة من الصمت قبل أن يسألها قائلاً :

- هل واجهت صعوبات فى العودة إلى منزلك ؟
- كلا .. لقد التقيت بأبى فى الطريق .
- وهل أخبرته عن لقائنا ؟

- كلا .

- لماذا ؟

خفضت بصرها وهى تضغط على أصابعها ، دون أن تقدم له جواباً .

فعاد ليسألها قائلاً :

- لا يد أنك خشيت أن يعنفك لجلوسك مع رجل غريب

فى هذا المكان المنعزل .

قالت له سريعاً :

- أبى لم يعنفنى قط .

- لكن فى مثل هذه الحالة ، لا بد أنه كان سيفعل

ذلك .. لو كنت مكانه لتصرفت على هذا النحو .

- لكن أبى يثق بى .

- إن ثقته بك لا تعنى أن تمتد ثقته للآخرين ، فكل

أب يخاف على أبنائه .. خاصة فى منطقة نائية كهذه .

نظرت إليه قائلة :

- لكننى لا أخاف منك .

بادلها نظراتها قائلاً :

- أنصحك ألا تملحى ثقتك للآخرين بمثل هذه

السهولة .

- أيمكننى أن أدعوك باسمك مجرداً من الألقاب ؟

- بالطبع .. يمكنك ذلك .

قالت له وفى عينيها فضول شديد :

- (عماد) .. ما هو السر الذى يختفى وراء عينيك

الحزينتين ؟

نظر إليها قائلاً :

- يا لك من فتاة فضولية !

أطلق زفرة قصيرة .. وهو يتناول حجراً صغيراً ..

ليلقى به فى مياه النبع ، قائلاً :

- لقد أحببت فتاة عرفتها حباً جماً .. وكنا على

وشك أن نرتبط معاً .. ظننت أنها تبادلنى الحب ..

ولم أتصور حياتى بدونها .

لكن تطلعاتها المادية ، كانت أقوى من أى ارتباط ،

وأكبر من أى عاطفة ، لذا ألقت بارتباطنا وراء

ظهرها ، لدى أول عرض قدم لها من شخص ثرى ،

قادر على تحقيق أحلامها المادية .

وفضلت الفيل والسيارة ذات الطراز الحديث والملابس

الباهظة الثمن ، على أحلام الحب الوردية التى آمنت

بها بسذاجة .

واستطرد قائلاً فى سخرية تتطوى على قدر من المرارة :

- وهكذا كانت النهاية .. وهكذا طلبت أن آتى إلى هذا المكان طلباً للابتعاد عن أى شىء يذكرنى بها ، محاولاً التغلب على صدمة حبى الفاشل .

صمت برهة وهو يحدق فى مياه النبع .. ثم نظر إليها قائلاً ، ومازالت نبرة السخرية المريرة واضحة فى صوته :

- قصة متكررة .. لا بد أنك قد قرأت عنها كثيراً ، فى تلك الروايات التى تحتفظون بها فى منزلكم .. أليس كذلك ؟

أنا أيضاً قرأت مثل هذه الروايات ، ولم أستسغ كثيراً تلك المواقف الدرامية التى وردت بها .

لكن من سخرية القدر ، أننى أعيش الآن أحد هذه المواقف .

سألته قائلة وهى تشعر نحوه بتعاطف حقيقى :

- وهل نجحت المحاولة ؟ أعنى محاولتك التغلب على مشاعرك تجاه هذه الفتاة ؟

عاد ليحدق فى مياه النبع ، دون أن يجيبها ..

فقامت من جواره ، وابتعدت عنه خطوتين ، وهى تحدق فى مياه النبع بدورها قائلة :

- أظن أنه لم يكن هناك داع لكى أسألك هذا السؤال ، فما دمت مستمراً فى المجيء إلى هذا المكان .. ومادامت تلك النظرة الحزينة مازالت ساكنة فى عينيك .. فأنت لم تنسها بعد . نهض بدوره قائلاً :

- لقد عاهدت نفسى على نسيانها .. وسوف أفعل ذلك .. مع مرور الزمن سأنجح فى أن ألقها من حياتى تماماً .

- لن يتحقق ذلك بالهرب إلى مكان منعزل كهذا .. والاستسلام لذكريات حبك لها وخيانتها لك .. لا بد أن تمارس حياتك بشكل طبيعى ، وأن تساعد نفسك على النسيان ، لكى تنجح فى ذلك .. فالوحدة لا تجلب سوى الشقاء .

قالت جملتها الأخيرة بحماس حقيقى .

تأملها قائلاً :

- إنك تتحدثين بما يفوق عمرك .. وبقدر من الحكمة لم يحظ به الكثيرون ممن عاشوا تجارب عديدة .. وتمرسوا فى الحياة .

قالت له وهى تعقد ذراعيها أمام صدرها ، مستعدة بظهرها إلى إحدى أشجار التخييل :

- لقد تعلمت الحكمة من الحياة هنا .. ثم من أخيرك أننى لم أعش تجربة مماثلة ؟
سألها :

- هل حدث هذا بالفعل ؟

قالت له سريعا :

- لا تشغل بالك بما أقول .

ثم اضطردت قائلة :

- هل تعرف .. أظن أن هذه الفتاة لم تكن تستحقك بأية حال من الأحوال ؟ وأنه يتعين عليك أن تشكر القدر الذى أبعدنا عن حياتك .

- أحيانا أقول لنفسى ذلك .. لكن مرارة هجرها لى مازالت هى الأقوى فى نفسى .

قالت وهى تنظر إليه بتعاطف حقيقى :

- إننى أقدر مشاعرك .. لكن صدقنى ، من الأفضل لك أن تلفظها من حياتك كما قلت .. فهذه الفتاة لا تستحق حزنك النبيل .

تأمل وجهها الهادئ قائلا :

- هل تعرفين ؟ لقد كنت محقة حينما طلبت منى أن أبوح لشخص ما بما فى نفسى ، فقد ارتحت كثيرا بالحديث إليك .

ابتسمت (سلوى) قائلة :

- إن هذا يدخل السرور على نفسى .

نظرت إلى ساعتها قائلة :

- لقد تأخرت ، يتعين على أن أذهب الآن حتى لا يتلق أبى على .

سألها قائلا قبل أن تفارقه :

- هل سأراك غدا ؟

أومأت له برأسها .. ثم ابتعدت ، وقد تأكدت أن مشاعرها تزداد تعلقا به يوما بعد آخر .

★ ★ ★



٤ - اغفر لى ..

توالت اللقاءات بينهما .. ولاحظ الأب ما طرأ على ابنته من تغيير ، منذ أن التقت بـ (عماد) .. فبدأت علامات التساؤل والحيرة تبدو واضحة على وجهه .. كان سعيداً على أية حال وهو يرى إشراقة وجهها .. وتلك الحيوية والنضارة اللتين طرأتا عليها ، لكنه لم يكن مرتاحاً لذهابها اليومى المتكرر إلى النبع . وذات يوم وجدها تتأهب كعادتها للذهاب إلى النبع ، فى الموعد الذى اعتادته .. فسألها قائلاً بنبرة جادة :

- إلى أين أنت ذاهبة ؟

أجابته قائلة :

- إلى النبع .

قال لها :

- ألا ترين أن مسألة ذهابك إلى النبع هذه قد تكررت بصورة أكثر من اللازم ؟

قالت له بصوت خافت :

- أنت تعرف أننى أرتاح للذهاب إلى هذا المكان .

- لا تنسى أن لدينا عملاً هنا فى المزرعة .

- إبنى لن أغيب أكثر من ساعة واحدة .

قال لها الأب وهو يعقد ذراعيه خلف ظهره :

- (سلوى) .. من هو هذا الشخص الذى تلتقين

به كل يوم لدى النبع ؟

فوجئت (سلوى) بأنه يعرف سرها .. فتلعثمت

قائلة :

- شخص .. أى .. شخص .. إبنى ..

- هل ظننت أنك تستطيعين إخفاء ذلك طويلاً ؟

إن المكان هنا غير مزدحم ، بحيث يمكنك إخفاء

أسرارك ولقاءاتك المستترة عن العيون .

- إبنى لم أرتكب أى خطأ يمكن أن يسوء إلى أو

إليك .

- إذن بماذا تبرزين خداعك لأبيك ، ولقاءك مع هذا

الشاب دون علمه ؟

- لم يكن بيننا سوى مجرد حوارات .. وكنت أنتظر

الوقت المناسب لأطلعك على ذلك .

قال لها بسخرية تمتزج بالغضب :

- الوقت المناسب .. وما هو الوقت المناسب فى رأيك ، لكى تخبرى أباك بما يدور من خلف ظهره ؟
قالت له وقد ألمها أن يتحدث عنها على هذا النحو :
- لقد خشيت أن تمنعنى من الالتقاء به لو علمت بالأمر .

قال لها محتدًا :

- وإلى متى كنت تظنين أنك تستطيعين إخفاء هذا الأمر عنى ؟

إن لى عينين تريان .. ولم أغفل مطلقًا عما طرأ عليك من تغيير منذ أن تكررت مرات ذهابك إلى النبع .

لقد تتبعتك ورأيتك وأنت تلتقيين بهذا الشاب .. ولولا احترامى وإعزازى لك ، لفاجأتك بظهورى ، ولكان لى معك شأن آخر .

وصمت برهة ليسيطر على انفعاله ، قبل أن يسألها قائلاً :

- منذ متى وأنتما تلتقيان ؟

أجابته وهى خافضة الرأس :

- منذ خمسة أيام .

- وما هى الظروف التى جمعت بينكما ؟
- لقد وجدته جالسًا بجوار النبع وحدث اللقاء بيننا مصادفة .
سألها قائلاً :

- وما الذى أتى به إلى هذا المكان ؟

- إنه مهندس بترول يعمل فى موقع قريب من هنا . فاجأها بسؤاله قائلاً :

- هل تحبينه ؟

ارتبكت ولم تستطع أن تقدم له جوابًا .

اقترب منها ليمسك بذراعيها ، وهو يقول لها بصوت خافت :

- عليك أن تعرفى أنك تعنين بالنسبة لى الكثير .. فأنت بالنسبة لى لست مجرد ابنة فقط .

أنت تعنين بالنسبة لى عالمى كله .. لقد استغنيت بك عن الدنيا وما فيها .. ورضيت بالحياة معك فى هذا المكان المنعزل ، لأبعدك عن شرور البشر ،

وأشئك على أفضل صورة تمنيتها ، وعلى كل القيم والمعانى النبيلة التى أؤمن بها .. ويجدها الآخرون .

تطلعت إليه وفى عينيها نظرة عتاب قاسية .. وقد

وجدت في نفسها الجرأة لأول مرة على مواجهته قائلة :

- كلا يا أبى .. لا تغالط نفسك .. لقد جئت إلى هنا

هرباً من الماضي ، وأملأ في النسيان .

نسيان أمى .. المرأة التى أحببتها وهجرتك ..

وأخلصت لها وباعتك .

جئت إلى هذا المكان الثنائى أملأ فى أن تطيب

جروح قلبك ، وأن تتخلص من تجربة حب فاشل ..

وسنوات السجن التعيسة ، وأحلامك التى تسربت من

بين يديك .

هذه هى الحقيقة .. وهذا هو السبب الذى أتى بك

إلى هذا المكان .

تهالك الأب فوق أحد المقاعد ، وقد ارتسمت على

وجهه ملامح التأثر قائلاً :

- كفى .

لكنها استطردت قائلة :

- كلا يا أبى .. لا بد أن أكمل .. إننى أقدر المعاناة

التي عشتها .. وأحترم أحزاتك .. كما أعرف مقدار

حبك وتعلقك بى .. وهذا هو ما جعلنى أستمِر فى

البقاء معك هنا .

لكن لا بد أنك تقدر أن هذا قد حدث على حساب

أشياء كثيرة حرمت منها .

وإنى أشاركك الاقتناع بسوء اختيارك للإنسانة التى

أحببتها وتزوجتها بلا ذنب اقترفته ، فما ذنبى فى كل

ما جرى بينك وبين أمى ؟

ما ذنبى لكى أحرم من حقى فى مواصلة تعليمى ،

والحصول على شهادة جامعية ، وحقى فى مصادقة

فتيات فى مثل سننى .. حقى فى اللهو والمرح ..

وارتداء المحلات والشوارع .. وممارسة حياة اجتماعية

طبيعية ؟

لقد كان ثمناً قاسياً يا أبى ، فرضت على أن أدفعه

معك بلا ذنب منى ، حتى إننى لا أدرى .. هل جئت

بى إلى هنا لأئك تحببى حقاً أم لأئك أردت أن تنتقم من

أمى فى شخصى ؟

تقلصت ملامحه وهو يقول لها بصوت واهن :

- (سلوى) .. ماذا تقولين ؟ أنا أنتقم منك يا بنيتى ؟

أنا أنتقم منك وأنت بسمة الأمل الوحيدة فى

حياتى !!

أنتقم من نفسى ؟ من اللمسة الحانية فى دنيائى ؟

جلست إلى جواره .. وقد تحركت عاطفتها نحوه
قائلة :

- أسفة يا أبى .. لم أقصد أن أؤذى مشاعرك ..
لقد أردت فقط أن أعبر عما يجيش بصدري .
قال لها الأب بصوت يعبر عن إحساسة بالندم :
- بل معك حق يا بنيتى .. لقد ظلمتك باستقبالك
معى هنا .

قالت له (سلوى) وهى تتناول يديه بين يديها فى
حنان :

- بل ظلمت نفسك منذ البداية ، حينما ظننت أن
الوحدة والعزلة والتخلى عن كل مظاهر الحياة
الاجتماعية ، هو الحل الأمثل للتخلص من آثار
الماضى .

لماذا لا تتبع المزرعة .. ونرحل عن هذا المكان ،
لنبداً حياتنا فى مكان آخر ؟

إلى أية مدينة من المدن الكبيرة .. القاهرة ..
الإسكندرية .. الإسماعيلية .

نختلط بأناس جدد ، ونمارس عملاً آخر ، ونشارك
فى مجالات اجتماعية مختلفة .

بل لماذا لا تفكر فى الزواج من امرأة فاضلة ؟
نظر إليها بدهشة قائلاً :

- الزواج !؟

أجابته قائلة :

- نعم .. من حقه أن تفكر فى الزواج يا أبى .

- بعد هذا العمر الذى وصلت إليه ؟ وبعد التجربة

التي مررت بها مع أمك ؟ مستحيل .

لماذا ؟ إنك لست طاعناً فى السن .. ولا يوجد

ما يحول بينك وبين أن تعيش بقية حياتك مع إنسانة

فاضلة .. تناسبك .

أما عن تجربتك السابقة ، فلا يمكن أن تبقى

مسيطرة على بقية حياتك .

قال لها بأسى :

- لم يعد فى العمر بقية يا بنيتى .

قالت له بجزع :

- لا تقل ذلك يا أبى .

ابتسم محاولاً التخفيف من ملامح التأثير التى بدت

على وجهها ، وقد ربت بيده على وجنتها قائلاً :

- لقد كبرت سريعاً يا بنيتى .

سألته قائلة :

- هل تعدنى بأنك ستفكر فيما اقترحتك عليك ؟

قال لها مداعباً :

- قولى .. إنك تريدن التخلص منى .. من عبء
ذلك الرجل العجوز ، الذى اضطررت لأن تشاركه
حياته .

قالت له سريعاً وكأنها تنفى عن نفسها إتهاماً :

- أنا يا أبى .. إننى لن أتخلص منك أبداً .. سواء
بقينا هنا أم رحلنا عن هذا المكان .. فأنت تعرف
مقدار حبنى لك .

قال لها مبتسماً :

- دعك منى .. وقولى لى .. ماذا عن ذلك المهندس
الذى تقابليته ؟

وأرجو أن تخبرينى بالحقيقة كاملة دون خجل ..
ماذا عن مشاعرك نحوه ومشاعره نحوك ؟

- إنه إنسان رقيق وحساس للغاية .

حينما رأيته أول مرة ، وجدته جالساً بجوار النبع ،
وسحابة من الحزن تظلل عينيه .

كان هذا الحزن المثل من عينيه ، هو الذى جذبنى
إليه فى البداية .

وحينما تحدثت معه ، وجدت أن ظروفه متشابهة
تماماً مع التجربة التى مررت أنت بها ، وهذا هو
ما جعلنى أتعاطف معه .

فقد جاء إلى هنا هرباً من ذكرى حب فاشل ،
وامرأة باعت حبه من أجل أحلام الثراء .
أطلق الأنب زفرة قصيرة قائلاً :

- إن القصة تتكرر دائماً .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

- لكنك لم تقولى لي أهم ما فى الأمر .. ما هى
حقيقة مشاعرك نحوه ؟ هل تحسبن نحوه بالتعاطف
فقط ؟ أم أن مشاعرك تتطوى على ما هو أكثر من
ذلك ؟

أطرقت (سلوى) فى خجل وقد تضرع وجهها
بالاحمرار .

بينما حدجها أبوها بنظرة تتم عن فهمه للحقيقة
قائلاً :

- آه .. إن حمرة الخجل على وجهك لا تحول دون
الكشف عن حبك له .. فهذا أمر واضح .

واستطرد قائلاً بعد برهة أخرى من الصمت :

- حسن .. وماذا عن مشاعره هو نحوك ؟

أجابته قائلة بصوت خافت :

- لا أدري .

قال لها الأب وهو يضع يده على كتفها :

- اسمعى يا بنيتى .. إننى لا أريد لمشاعرك أن
تخدعك ، فى اختيار الشخص الذى تحبينه ، وتأمين
الارتباط به .

ارتعش بدنها لدى سماعها لهذه الكلمة (الارتباط) ..

إن هذا هو أقصى أحلامها .

أن تكون زوجة لهذا الرجل ، وأن تنجب منه أبناء
يشاركونهما حياتهما .

استطرد الأب قائلاً :

- إن وجودك فى هذا المكان ، لم يتح لك مجالاً

واسعاً لممارسة حياة اجتماعية طبيعية كما قلت منذ

قليلاً ، وأنا أقر بذنبى فى هذا الشأن ، وقد تجسم لى

هذا الذنب الآن ، حينما اكتشفت فجأة أنك قد أصبحت

فتاة ناضجة وجميلة وفى سن الزواج .

قلو كنا قد عشنا فى مكان آخر ، ربما كان مجال

الاختيار أمامك فسيحاً عما هو عليه الآن ، ولما كان

هناك ما يدعونى للخوف ، من أن يكون تعلقك بهذا

الشخص ، دافعه تلك الحياة المنعزلة التى عشتها ،

والحرمان من العاطفة ، وليس اختياراً قائماً على

أسس سليمة وطبيعية .

قالت له (سلوى) وهى مطرقة الرأس :

- صدقتى يا أبى . إننى أشعر بأن لقاعنا كان قد رطباً ..

وأن هذا الشخص سيصبح هو اختياري الوحيد ،

سواء التقيت به فى صحراء منعزلة ، أو مدينة تضج

بالزحام .

صمت الأب برهة وهو يفكر فيما قالتة ابنته .. ثم

قال لها :

- ترى .. أما زال ينتظرك بجوار النبع الآن ؟

نظرت إلى ساعتها ، وقد أدركت أنها قد تأخرت

كثيراً عن مواعده قائلة :

- لا أدري .

- حسن .. أذهبي إلى هناك .. وإذا وجدته ما زال

ينتظرك ادعيه للحضور إلى منزلنا .. وأخبريه بأننى

أريد التحدث معه .

أشرق وجهها ، وتراقصت الفرحة فى عينيها وهى
تقول له :

- حقاً يا أبى ؟

قال لها الأب :

- هيا .. لا تضيعى الوقت .. وافعلى ما قلت لك .

★ ★ ★



٥ - فترحل ..

كان يستعد للعودة حينما وجدها تأتى مهرولة إليه ..
فاستقبلها قائلاً :

- لقد تأخرت كثيراً اليوم ، حتى أننى ظننت أنك لن
تأتى .

قالت له بأنفاس لاهثة :

- أسفة .. لقد حدث ما عظمى .

قال لها بنبرات صوته الرخيم :

- على أية حال .. الحمد لله على أننى قابلتك اليوم ..

فقد خشيت أن أرحل دون أن أودعك .

قالت له وقد تبدلت قسماً وجهها :

- تودعنى !؟

قال لها بهدوء :

- نعم .. سأرحل غداً إلى القاهرة .. فقد انتهى
عملى هنا .

تراجعت خطوتين إلى الوراء وهى تحلق فيه ،
وسحابة من الحزن تظلل عينيها .

مرّت فترة طويلة من الصمت ، تحاشى خلالها النظر
فى عينيها وقد أحس بأن تصرّحه لها كان قاسياً .
ولكن ماذا يفعل ؟ إنه لن يقضى بقية عمره فى هذا
المكان .. هى نفسها نصحته بذلك .

لقد بدا وجوده هنا مناسباً للظروف النفسية التى
كان يمر بها فى البداية . لذا اختار بإرادته ، أن يكف
بهذه المأمورية التى أتت به إلى هنا ، وجعلته ينتقى
هذا النبع ، ليغسل فيه أحزانه .

أما الآن .. فقد سئم المكان ، بالإضافة إلى أن
مأموريته قد انتهت حقاً . إنه سيشعر بالأسف لفراق
هذه الفتاة الرقيقة .. خاصة بعد أن توطدت بينهما
أواصر الصداقة المتينة ، خلال الأيام القليلة التى
قضاها فى هذا المكان .

إنه لن ينسى نظرات عينيها البريتنين .. وذكائها
القطرى .. ومشاعرها الرقيقة المنسجمة تماماً مع
هدوء الطبيعة هنا .

إنه يعرف أنها تميل إليه .. فهذا ظاهر تماماً فى
نظراتها إليه وحديثها معه ، برغم أنها لم تبج له
بذلك .

كما لا يستطيع أن ينكر أنه هو الآخر يشعر ببعض
الميل نحوها .. ربما على نحو أَسَاء قليلاً (منى) .
لكن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد ألفة .. وصداقة ..
ولا يمكن أن تتجاوز ذلك .. على الأقل من ناحيته .
اقترب منها قائلاً :

- إبنى مرتبط بعملى فى القاهرة .. وأنا أشعر بأننى
سأفقد كثيراً جلستنا هذه وحديثنا معاً .

قالت له وهى تكاد أن تنتحب :

- (عماد) .. إبنى .. إبنى ..

أدارت له ظهرها ، تخفى عبرتين تساقطتا على
وجنتيها قائلة بصوت تخنقه العبرات :

- إبنى سأحزن كثيراً لفراقك .. ولا أدرى ماذا سأفعل
بأيامى القادمة بعد أن تغادر هذا المكان ؟

أمسك بذراعها ليديرها إليه وقد ألمه أن يرى تلك
العبرات التى تبلل وجنتيها .

تملكتة الحيرة .. وقال لها محاولاً التخفيف عنها :

- سيبقى لنا ذكريات الأيام الجميلة التى التقينا فيها
هنا .

مسحت عبراتنا قائلة :

***** ٦٥ *****

***** ٦٤ *****

- حقاً أن الأيام الجميلة تنقضى سريعاً .. وأنا التي
جئت لكي أدعوك لزيارتنا .

قال لها بدهشة :

- زيارتكم ؟

- نعم .. لقد طلب منى أبى أن أدعوك لزيارتنا .

قال لها محاولاً التخفيف من أحزانها :

- وما المانع ؟ دعينا نذهب إلى منزلكم الآن .

- لا أظن أن وقتك يسمح بذلك .. ربما تريد أن

تحزم حقائبك .

- ما زال أمامي بقية اليوم ونهار الغد .. هيا بنا

جلسنا بجواره في سيارته الجيب ، حيث انطلقا في

طريقهما إلى المزرعة .

أحسن الأب بآلام شديدة في صدره .. فتناول إحدى

الكبسولات ، ثم تمدد على الفراش ، وقد تصبب

العرق البارد على جبينه وبدت أنفاسه لاهثة .

إنها الأرملة القلبية التي تعاوده من أن لأخر ما يمكنه من تنفيذ ما استقر عليه رأيه .

والتي اكتشفها عن طريق الطبيب المتخصص في

المدينة منذ شهر واحد فقط .. لكنها شديدة الوضوح

هذه المرة .

لقد نجح في إخفاء أمرها عن ابنته حتى الآن ..
كنه يعرف أن ذلك لن يدوم طويلاً .. وأنها لابد أنها
ستعرف يوماً ما .. وإن كان يخشى أن يأتى ذلك
متأخراً .

خفت حدة الأزمة تدريجياً .. وابتدأت أنفاسه تنتظم
من جديد ، لكن أفكاره وهواجسه حول ابنته لم تنقطع .
قال لنفسه وهو يغمض عينيه بأسى :

- ابنتى المسكينة ! لقد كنت محقة فيما قلته .. وأنا

عرفت أنني حرمتك من أشياء كثيرة .

لكن أن الأوان لتصحيح كل ذلك .

أن الأوان لأعوضك عن كل ما حرمت منه .

أن الأوان لكي أغلق ملف الماضي .. وأطوى

الكتاب حزانه بكل ما فيها من شقاء ومرارة .. وأفكر في

إبه يدعو الله أن يمنحه من القوة والصحة ؛

لأنه يمكنه من تنفيذ ما استقر عليه رأيه .

نعم سينفذ نصيحة ابنته .. سيبيع المزرعة ..

المدينة منذ شهر واحد فقط .. لكنها شديدة الوضوح

هذه المرة .

وإذا كانت تريد الزواج من هذا الشاب الذى التقت به هنا .. ووجد فيه الشخص الذى يستحقها ، فسيترك قسارى جهده من أجل تحقيق رغبته .
لقد آن الأوان لتصحيح كل الأخطاء التى ارتكبتها فى حق ابنته .

ولأن تأخذ حقها فى الحياة .. ربما سامحته بعد ذلك عن سنوات عمرها التى ضاعت فى هذا المكان الموحش .

وبينما هو مستغرق فى أفكاره سمع صوت السيارة قادمة .. ورأى من خلال النافذة المجاورة لفرشه ابنته قادمة ، وبصحبته ذلك الشاب ، فنهض متحاملاً على نفسه لاستقباله :

قدمته لأبيها قائلة :

- أبى .. أقدم لك المهندس (عماد) .

صافحه الأب مرحباً وهو يقول :

- أهلاً بك يا بنى .. تفضل .

ثم دعاه للجلوس قائلاً :

- أعذرني إذا لم آت لدعوتك لمنزلى بنفسى .. وأنتى

قد كلفت ابنتى بذلك نيابة عنى .

- أشكرك على هذه الدعوة الكريمة .

نظر الأب إلى ابنته قائلاً :

- هيا يا (سلوى) أعدى لنا غداء جيداً .

قال (عماد) :

- لا داعى لذلك .

ابتسم الأب قائلاً :

- ألا تريد أن تأكل معنا (عيش وملح) ؟

- إيه ليشرفتى أن أفعل ، لكنى مضطر للعودة إلى

موقع العمل .

قال الأب وهو ينظر إلى ابنته :

- على أية حال ، إن الغداء لن يتأخر كثيراً .. أليس

ذلك ؟

إننا سنتناول وجبة سريعة التحضير هذه المرة ..

لكن إذا أردت أن تتذوق الأكلات الدسمة .. فعليك أن

تورنا مرة أخرى .

قالت له (سلوى) سريعاً :

- لن تكون هناك مرة أخرى يا أبى .. فالمهندس

(عماد) سيرحل إلى القاهرة غداً .

أحس الأب برنة الحزن فى صوت ابنته .

وانتظر حتى انصرفا ليتحدث إليه قائلاً :

- هل ستعود إلى القاهرة غداً .. حقاً ؟

أجابته (عماد) قائلاً :

- نعم .. لقد انتهت عملي هنا ، ولا بد أن أعود

لمقر الشركة .

صمت الأب برهة ، ثم قال له :

هل ترغب في مشاهدة المزرعة ؟

- كما تشاء يا عمي .

- إذن هيا بنا لنجول معاً .. إنها ستعجبك .

وبينما كانا يسيران معاً في أرجاء المزرعة .. قال

له :

- ما رأيك في مزرعتي المتواضعة ؟

- إنها جميلة للغاية وأظن أنها تدر محصولاً طيباً .

- لقد بذلت جهداً جباراً منذ أن جئت إلى هذا المكان ؛

لكي أجعلها هكذا .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

- ومع ذلك فإنني أئوى بيعها .

سأله (عماد) قائلاً :

- لماذا ؟

- لأنني قررت مغادرة هذا المكان .. إنه لم يعد

يناسب فتاة شابة مثل (سلوى) .. ألا تتفق معي في

ذلك ؟

- نعم .. أظن أن وجودها في هذا المكان يحرمها

من أشياء كثيرة ، خاصة وأنها مقيمة هنا إقامة

كاملة .

- لقد فكرت كثيراً في الأمر .. ووجدت أنه أصبح

يتعين علينا أن ننقل إلى مدينة مثل القاهرة .

- هذا تفكير صائب .. وإن كنت لست بحاجة لبيع

المزرعة .. تستطيع أن تكلف شخصاً آخر بإدارتها .

- كلا .. أريد أن أودع هذا المكان نهائياً .

مرت بينهما برهة من الصمت خلال تجوالهما ،

قبل أن يردف الأب قائلاً :

- لقد أخبرتني ابنتي عن مقابلاتكما عند النبع ..

كما أظنعتني على سر ذهابك إلى هناك .

اعزوني إذا كنت أقحم نفسي في أمورك الشخصية ..

كني أريد أن أعرف ، هل نجح صفاء النبع وسكينة

المكان هناك ، في أن تجعلك تتغلب على حبك لتلك

فتاة ؟

- أظن أنها قد خففت كثيراً من الآثار السيئة لهذا الحب الأعمق .

غمغم الأب قائلاً :

- أما أنا فقد احتجت لسنوات طويلة من أجل تحقيق ذلك ، وحتى هذه اللحظة لا أرى ما إذا كنت قد نجحت أم لا .

قال له (عماد) متسائلاً :

- ماذا تعنى بذلك ؟

قال الأب سريعاً :

- لا شيء .. لا تشغل بالك بما قلته .. وقل لي

ما رأيك في ابنتي ؟

فوجيء (عماد) بسؤاله ، وأحس بالحرج وهو يقول :

- ابنتك ؟ إن لديك ابنة تحوز صفات رائعة حقاً .

قال الأب بصراحة مفاجئة :

- هذا حقيقي .. وهى تحبك .

ارتبك (عماد) وقد بوغت بما قاله الأب .. فاستعجب .

يدر ماذا يقول ، بينما استطرده الأب قائلاً :

- إنك لم تتوقع أن تقابل أباً ، يتحدث بمثل هذا بها :

الصراحة عن ابنته .. لكنى لا أحب أن ألف أو أدور حول حقيقة واضحة .

- هل أخبرتك بذلك ؟

قال الأب بجدية :

- لست بحاجة لكى تخبرنى بذلك .. فأنا أدرى

الأشخاص بابنتى ، وأثق بأنها تحبك .. وهذا مادعائى

فى دعوتك إلى منزلى ، فأنا أريد أن أعرف ما إذا

كنت تبادلها نفس المشاعر أم لا ؟

قال له (عماد) :

- لقد نشأت بيننا صداقة قوية .. خلال الأيام

حاضية .. وأنا لا أنكر إعجابى بابنتك وتقديرى لها ..

لما لا أنكر أنها خففت كثيراً من أحزائى ، لكنى لم

أصور أن تتطور الأمور بالنسبة لها على هذا النحو .

تهاد الأب وهو يتطلع إلى الأفق الممتد أمامه قائلاً :

- وماذا كنت تنتظر من فتاة وحيدة محرومة من

الحضان والعاطفة ، عندما تلتقى بشاب مثلك ؟

- هذا يثبت أن عاطفتها نحوى وليدة ظروف غير

عادية .

- لكنك سمحت لهذه العاطفة أن تنمو بتكرار لقاءاتك

إتك ستعود إلى القاهرة لتمارس حياتك بشكل طبيعي
بعد أن عالتج أزمك هنا ، مخلفاً لها التعاسة .

- أظن أنه بعد مغادرتها لهذا المكان ، وممارسة
حياتها بطريقة طبيعية في مكان مختلف ، بعيداً عن
هنا ، فإنها ستلتقى بشخص ما وفي ظروف أفضل ..
سيختلف الأمر بالنسبة لها .
قال له الأب محتدًا :

- قلت لك إنها تحبك ، ولا دخل لأي ظروف في
عاطفتها هذه نحوك ، فحبها لك أقوى مما تتصور .
هدأت حدة الأب قليلاً وهو يقول له :

- آسف يا بنى إذا كنت قد تحدثت إليك بهذا
الأسلوب .. وأرجو أن تقدر مشاعر أب ، لم يفز من
هذه الدنيا إلا بابنة وحيدة هي كل حياته .. ولا يتمنى
شيئاً سوى إسعادها . خاصة إذا كان يشعر بالذنب
نحوها ؛ لأنه يرغب حبه لها حرماً من أشياء كثيرة ،
وأجبرها على أن تشاركه سجن بلا جريمة .

قال له (عماد) وهو يشعر بالتعاطف معه :
- إبنى أقدر مشاعرك واحترمها .. لكنى لا أعرف
ماذا أقول لك ؟ وما هو التصرف الذى يتعين على أن
أفعله ؟

وضع الأب يده على كتف (عماد) قائلاً :

- لا تقل شيئاً .. فلا ذنب لك فى أنك لم تستطع أن
تحمل لها نفس المشاعر التى تكنها نحوك .
وأطلق زفرة طويلة مستطردًا :

- مسكينة يا بنيتى .. أعرف أن هذا سيجلب لك
الشقاء .. كنت أتمنى أن أراك عروساً قبل أن أموت .
قال له (عماد) متأثراً :

- أنا مستعد ..

لكن (سلوى) جاءت قبل أن يكمل جملته لتخبرهم
بأنها قد أعدت الطعام ..

تعلقت نظرات الأب للحظة بـ (عماد) قبل أن يذهب
معا لتناول الغداء .

★ ★ ★



إني استعد إلى القاهرة لتمارس حياتك بشكل طبيعي
بعد أن عالجت أزمك هنا ، مخلفاً لها التعاسة .
- أقرر أنه بعد مغادرتها لهذا المكان ، وممارسة
حياتها بطريقة طبيعية في مكان مختلف ، بعيداً عن
هنا ، فإنها ستبقى بشخص ما وفي ظروف أفضل ..
سيختلف الأمر بالتسمية لها .
قال له الأب متحذراً :

- كنت لك إنها تحبك ، ولا تدخل لأي ظروف في
عاطفتها هذه تحرك ، فحبها لك أقوى مما تتصور .
هات حدة الأب قليلاً وهو يقول له :

- أسف يا بني إذا كنت قد تحدثت إليك بهذا
الأسلوب .. وأرجو أن تقدر مشاعر أب ، لم يفز من
هذه الدنيا إلا بابتنة وحيدة هي كل حياته .. ولا يتمنى
شيئاً سوى إسعادها . خاصة إذا كان يشعر بالذنب
نحوها ؛ لأنه برغم حبه لها حرماً من أشياء كثيرة ،
وأجبرها على أن تشاركه سجن بلا جريمة .

قال له (عماد) وهو يشعر بالتعاطف معه :
- إني أقدر مشاعرك وأحترمها .. لكني لا أعرف
ماذا أقول لك ؟ وما هو التصرف الذي يتعين علي أن
أفعله ؟

وضع الأب يده على كتف (عماد) قائلاً :
- لا تقل شيئاً .. فلا ذنب لك في أنك لم تستطع أن
تحمل لها نفس المشاعر التي تكنها نحوك .
وأطلق زفرة طويلة مستطرداً :
- مسكينة يا بني .. أعرف أن هذا سيجلب لك
الشقاء .. كنت أتمنى أن أراك عروساً قبل أن أموت .
قال له (عماد) متأثراً :

- أنا مستعد ..
لكن (سلوى) جاءت قبل أن يكمل جملته لتخبرهم
بأنها قد أعدت الطعام ..
تعلقت نظرات الأب للحظة بـ (عماد) قبل أن يذهب
معاً لتناول الغداء .

★ ★ ★



٦ - سامضى يا أبى ..

عاد (عماد) إلى مقر عمله ؛ ليحزم حقائبه استعداداً للسفر ، وهو مشتت الذهن .. مضطرب التفكير .
أخذ يحدث نفسه قائلاً :

- ما هذا الذى كنت أتوى أن أقوله للرجل ؟
لقد كدت أن أخيره بأننى مستعد للزواج من ابنته .
صمت برهة وهو يفكر قائلاً :
- ولم لا ؟

ما دمت معجباً بها ، وأرى فيها الكثير من الصفات والمميزات .. فما هو المانع من زواجى بها ؟
لكن هذا أمر لم يخطر بباله مطلقاً .

نظر من نافذة الكابينة الخشبية التى يقيم بها إلى الصحراء الممتدة أمامه ، وهو يهمس لنفسه قائلاً :
- ربما لو أننى أتحت لنفسى الفرصة للتفكير .

هز رأسه وكأنه يحاول أن يطرد هذه الفكرة من عقله قائلاً :

- كلا .. لا تكن أحمق يا (عماد) .. ماذا ستفعل بفقاة بريئة لم تتل حظها من التعليم ، ولا دراية لها بالتعامل مع المجتمع والناس خارج هذا الوادى ؟
ثم إننى لا أحمل لها عاطفة حب حقيقية ، برغم إعجابى بها ، وتقديرى لكل المزايا التى تحوزها .
ولكن هل لابد له من أن يحبها ، لكى يتخذ منها زوجة له ؟

وماذا فعل الحب به ؟ إنه لم يجلب له سوى الإذلال والمعاناة والألم .
لقد أحب (منى) ، لكنها هجرته وأعطت له مثلاً سيئاً عن الحب .

لقد استطاعت لقاءاته مع (سلوى) أن تلهيه قليلاً عن صدمته العاطفية ، وربما لو عاد إلى القاهرة مرة أخرى ، لتجددت آلامه ، وعاد ليفكر فى (منى) مرة أخرى .

ربما لو تزوج من فتاة مثل (سلوى) واصطحبها معه إلى القاهرة لضمن أن يتخلص من هذا الحب وآلامه إلى الأبد .

حاول أن يطرد فكرة الزواج من خياله .. لكنها ظلت تعاوده وتراوده ذهنه .

وفجأة وجد نفسه يتوقف عن الاستمرار فى حزم حقائبه ، وقد سيطر عليه إحساس قوى بالذهاب إلى المزرعة .

فوجئ به زميله وهو يستقل سيارة الجيب ، فسأله قائلاً :

- (عماد) إلى أين أنت ذاهب ؟

قال له (عماد) وهو مازال تحت تأثير ذلك الإحساس القوي ، الذى تملكه .

- سأذهب فى زيارة قصيرة .

قال له زميله بدهشة :

- لكن الطائرة التى ستقلع بعد خمس ساعات من الآن .

- سأعود قبل إقلاعها .

أوقف السيارة أمام المزرعة .. ثم فتح بابها الخشبي مقترباً من المنزل ، وما لبث أن سمع صوت بكاء ينبعث من الداخل ، فتوقف عن السير للحظة وهو يسترق السمع .

وما لبث أن طرق الباب الذى كان مفتوحاً .

ودلف إلى الداخل ، ليجد الأب ممدداً فوق فراشه ،

وهو فى حالة يرثى لها ، بينما ابنته تبكى بجواره .
تطلعت إليه الفتاة بعينيها المغرورتين بالعبرات قائلة :

- (عماد) .. إن أبى يموت .

اندفع (عماد) نحو الرجل المسجى على الفراش ليمسك بيده .

كان النبض ضعيفاً .. ووجهه مصفراً وقد تقاطرت حبات العرق البارد فوق جبينه .

قال لها وقد اعتزته حالة من القلق :

- إنه مريض للغاية .

قالت له (سلوى) وهى تنتحب :

- لقد اكتشفت منذ لحظات أنه مريض بالقلب ، وأنه أخفى عني ذلك .

لم أعرف ذلك إلا حينما طلب منى إحضار الدواء له ، بعد أن ضاق صدره وعجز عن الوصول إليه .

هل تتصور ذلك ؟ لقد ظل يعمل فى هذه المزرعة عملاً مضيئاً دون أن يتفرق بقلبه المريض ، ودون أن يخبرنى بشيء .

لا بد أنه كان يشفق على من أن أعرف الحقيقة .

والآن هأنذى أراه يحتضر أمامى دون أن أملك وسيلة لمساعدته .

فأين هى الوسيلة فى مكان ناء كهذا ؟ .

هب (عماد) واقفاً وهو يقول :

- سأذهب لأحضر له طبيباً .

لكن أصابع الرجل الضعيفة تعلقت بيده ، وهو يقول له بصوت واهن :

- لا داعى لذلك .. فأنا أعرف أن نهايتى قد حانت

ألقت الفتاة برأسها على صدر أبيها ، وهى تجهش بالبكاء قائلة :

- أبى .. لا تقل ذلك .

قال لها الأب بصوت خافت :

- (سلوى) .. من فضلك .. اتركىنى مع (عماد) بمفردنا .

قالت له وهى لا تستطيع أن تغالب دموعها :

- لا يمكننى أن أتركك .. أرجوك يا أبى دعه يحضر لك الطبيب .

قال لها وقد تحشرج صوته :

- أرجوك أنت .. افعلى ما طلبته منك .. إننى أريد

أن أتحدث إليه بمفردنا .

استجابت (سلوى) لطلب أبيها ، وساعدها (عماد) على النهوض ومغادرة الحجرة .

ثم جثا بجوار الرجل المريض .. الذى نظر إليه بعينين يطل منهما شبح الموت قائلاً :

- لقد قضى الأمر يا بنى .. ليست سوى دقائق قليلة ، وألفظ بعدها أنفاسى الأخيرة .

قال له (عماد) مواسياً :

- لا تقل هذا .. لا يعلم الآجال إلا الله .

قال له الأب بصوت متحشرج :

- ونعم بالله يا بنى .. لكن علامات الموت تبدو واضحة أمامى ، وأشعر أن أجلى قد حان .

إننى لا أخشى الموت .. ولكن ما يحزننى هو أننى سأفارق هذه الدنيا دون أن أحقق شيئاً مما تمنيت

لابنتى .. ودون أن أعوضها عن البؤس الذى عاشته هنا .

كنت أحلم بأن أحقق لها قدراً ولو ضئيلاً من السعادة التى حرمت منها قبل أن أفارق الحياة .

أحسن (عماد) بتأثر شديد وهو يستمع إلى الرجل المريض .. الذى تشبث بيده قائلاً :

- أرجوك لا تتخل عن ابنتى .. فلا يعلم إلا الله
ماذا سيكون من أمرها بعد موتى .. وما الذى يمكن
أن يحدث لها ، وهى تواجه هذه الحياة القاسية
بمفردها ؟ حياة لا تعرف عنها إلا القليل .. حياة
لا تعرف البراءة التى تربت عليها .

حينما التفت بك أحسست بأنك إنسان نبيل ، كما
وصفتك ابنتى ، وإننى أستطيع أن أمنحك ثقتى وابنتى
وأنا مطمئن إلى أنك سترعاها بعد موتى .

أرجوك عدنى بأنك لن تتخلى عنها .. وألا تتركها
تواجه هذه الحياة بمفردها بعد موتى .
خفض (عماد) رأسه قائلاً :

- أعدك بذلك .

تنهد الأب قائلاً بارتياح :

- الآن أستطيع أن أموت مطمئناً .

قال له (عماد) :

- والآن هل تسمح لى بأن أحضر لك طبيباً ؟

قال له الأب ، وقد أرخى رأسه فوق الوسادة ،

وانفرجت أسارير وجهه :

- لم يعد هذا مهماً .. المهم أنسى مطمئن الآن .

إننى قد تركت ابنتى فى أيد أمينة .

ظل الأب متشبهاً بيد (عماد) للحظة .. ثم ما لبث
أن تراخت يده وهوى نراعه إلى جواره ..

وأدرك (عماد) أن الرجل قد قضى نحبه .

اضطر (عماد) إلى أن يؤجل سفره ، ريثما ينتهى
من المشاركة فى دفن الرجل ، الذى طلب أن يتم دفنه
بجوار المزرعة حسب وصيته .

واقرب من (سلوى) التى كانت واقفة أمام القبر
قائلاً بصوت هامس :

- يكفى هذا .. دعينا نذهب

قالت الفتاة وهى تتطلع إلى القبر بنظرات ساهمة :

- لقد حرم حتى من جنازة حقيقية .

قال لها (عماد) مواسياً :

- أظن أنه كان يفضل ذلك .

قالت وعيناها مغرورتان بالعبرات :

- رحمك الله يا أبى .. فقد قاسيت الكثير فى هذه

الدنيا .

أمسك (عماد) بيدها قائلاً :

- لقد كنت شجاعة فى مواجهة الموقف حتى الآن ،

وأرجو أن تظلى كذلك .

أرجوك .. هيا بنا .

سألته وقد اتسابت العبرات فوق وجنتيها :

- إلى أين ؟

ستأتين معي .. سنعود إلى القاهرة معاً .

سألته قائلة :

- والمزرعة .

- سأدير أمر بيعها .. وأودع ثمنها باسمك في البنك .

- لكن إلى أين سأذهب في القاهرة ؟ إتنى لا أعرف

فيها أحداً ..

- ستأتين معي إلى منزلي .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- إلى منزلك ؟!

- نعم .. وهل تظنين أنني سأتركك في الطرقات ؟

- لكن ..

ابتسم (عماد) في حنان ومودة قائلاً :

- لا تخافى .. قبل أن تدخل إلى منزلي ، سأكون

قد عقدت قرانى عليك .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- تقصد أن نتزوج ؟

- نعم .. لقد قررت أن أتزوجك .

قالت له وهى تتراجع إلى الوراء :

- لكن .. هذا مستحيل .

- لماذا ؟

- لأننى لا أقبل أن تتزوجنى شفقة بى .

- من قال هذا ؟

- لو كنت راغباً فى الزواج منى لقدمت لى هذا

العرض من قبل .

لكنك تجد نفسك مضطراً إليه الآن ، بعد الوعد الذى

قطعته لأبى ، وتعاطفاً مع فتاة يتيمة تواجه الحياة

بمفردها .. وأنا أرفض الزواج على هذا النحو .

همس لها (عماد) قائلاً :

- هذا غير صحيح .. إتنى بحاجة إليك قدر احتياجك

إلى .. كما أنني أحمل بالنسبة لك الكثير من التقدير

والمودة .. وأظن أن هذا هو أهم ما يحتاج إليه

الزواج .

سألته قائلة :

- والحب ؟

صمت برهة وهو يحدق فيها قبل أن يسألها قائلاً :

- (سلوى) .. هل تحبيننى حقاً ؟

قالت (سلوى) وهى تدير له ظهرها :

- ليس من اللائق أن نتحدث عن الحب والزواج ،

ولم ينقض على دفن أبى سوى ساعات قليلة .

- لقد أوصانى أبوك بك قبل وفاته ، وطلب منى أن أرىك .

- ولهذا تريد أن تتزوجنى .. عملاً بوصية أبى .

- لا أظن أن هناك وسيلة أخرى ، لرعاية فتاة

شابة مثلك ، سوى هذا .

- إذن .. فقد كنت محقة عندما قلت إنك مضطر

لهذا الزواج .

- إنك لم تجيبى عن سؤالى الذى طرحتك عليك من

قبل .. هل أنت واثقة بأنك تحبيننى حقاً ؟

نظرت إليه بتمعن قائلة :

- أظن أنك لست بحاجة لإجابة .

همس لها قائلاً :

- إذن أمنيحنى الوقت الكافى لكى أحبك .

- وما الذى يضطرك للزواج من فتاة لا تحبها ؟

- لأننى كما قلت لك أحتاج إليك بقدر احتياجك إالى ..

ولأنك أفضل فتاة قابلتها فى حياتى .

(سلوى) .. يمكننى أن أكذب عليك ، وأن أخبرك

بأننى أحبك .. وأنى أرغب فى الزواج منك لأجل هذا

السبب .

لكننى لا أريد أن أكذب عليك .. ولست مستعداً

لخداع هذه البراءة التى أراها فى عينيك .

لكنى أحمل لك الكثير من المشاعر الطيبة فى الوقت

الحالى .. ومثل هذه المشاعر لا بد أن تنتهى مع

مرور الوقت والعشرة بالحب .

سألته (سلوى) قائلة :

- وما الذى يحتاج إليه شخص مثلك من فتاة بسيطة

مئلى ؟

- أحتاج إلى الكثير من الحب الذى أراه فى عينيك ،

حتى أومن مرة أخرى بأنه ما زال يوجد حب صادق

ومخلص فى حياتنا .

واستطرد قائلاً :

- والآن قولى لى ، هل أنت موافقة على زواجنا ؟

قالت له وهى تشعر بارتباك شديد :

- لا أدرى ماذا أقول لك ، إن مشاعرى مضطربة ..

ولا يمكننى التحدث عن الزواج مع الظروف التى أمر

بها الآن ، وبعد وفاة أبى مباشرة .

- إنك ستأتين معي الآن إلى القاهرة ، وهناك يمكنك
أن تحددي قرارك .

جلست (سلوى) بجواره وهي تتطلع إلى الأفق
الممتد أمامها بعينين حزينتين .

لقد كان حلمها أن تراه وتتحدث إليه .

أما أن يطلبها للزواج فهذا يتجاوز أحلامها .

لو كانت في ظروف مختلفة عن هذه التي تمرُّ بها
الآن ، لقفزت في الهواء من شدة الفرح .

لكن من أعاجيب القدر ، أن يحدثها عن الزواج
يوم وفاة أبيها ، ودمعها لم يجف بعد ، وأن يأتي
طلبه للزواج بلا حب .. وبلا مشاعر ، كذلك التي
حلمت بها وتمنتها في سنوات مراهقتها المكبوتة .

إنها لا تدري الآن .. أتحزن أم تفرح ؟

ولماذا يعترها إحساس بالذنب ، لأن حزنها على
أبيها ليس بالقدر الكافي ؟

وإحساس بالوجوم يرغم أن الشخص الذي أحبه
منذ أن وقعت عيناها عليه ، هو الذي يطلب الزواج
منها الآن ؟

إن مشاعرها مضطربة ، على نحو لا يجعلها قادرة
على فهمها ..

نظرت وراءها وهي تبتعد عن المكان الذي عاشت
سنوات صباها فيه .. وكأنها تودعه .

بقدر ما أبغضت هذا المكان أحياناً ، بقدر ما تحس
بأنها ستفتقده كثيراً ، وأنها ستودع معه سنوات البراءة ..

وسكون الطبيعة هنا ، كما ستودع أباه .

الأب الذي أحضنها ومنحها كل ما تبقى من حياته .

ولم يلق منها قل موته سوى جحود بفضله ،
وإصرار على أن تشعره بعقدة الذنب نحوها .

بكت متأثرة وهي تتطلع خلفها قائلة :

- سامحنى يا أبى .

★ ★ ★



٧ - عالم جديد ..

تزوج (عماد) من (سلوى) بعد عشرة أيام من وفاة أبيها .. واصطحبها معه إلى أحد الفنادق الكبرى بالإسكندرية لقضاء شهر العسل .

لقد تم زواجهما دون ضجة ، وبلا ليلة عرس حقيقية ، بعد أن اتفقا على ذلك .. نظراً لظروف وفاة أبيها .. ولأن ذلك قد صادف قبلاً لدى (عماد) ، الذى لم يرحب كثيراً بإقامة ليلة زفاف كبيرة .. وعندما جمعتهم غرفة واحدة بالفندق ، كانت (سلوى) ما زالت تحت تأثير مشاعرها المضطربة ، وغير قادرة على تحديد أحاسيسها الحقيقية فى هذه اللحظة . أهى سعيدة لأنها تزوجته ؟ أم حزينة لأن ذلك قد تم بعد وقت قصير من وفاة أبيها ؟ ودون وجوده بجوارها ؟

احتوتها هذه الأحاسيس المضطربة ، وهى قابضة فى أحد أركان الغرفة ، دون أن تنزع عنها ثوب العرس بعد .

بينما كان هو قد فرغ من تغيير ثيابه .. ونظر إليها وهى جالسة فى مكانها قائلاً :

- لماذا لم تبدلى ثيابك بعد ؟

أطرقت برأسها دون أن تجيبه .. فاقرب منها ليرفع وجهها إليه ، وهو يضع أصبعه تحت ذقنها قائلاً :

- أنت مضطربة ، أليس كذلك ؟

هزت رأسها مصدقة على كلامه .

فقال لها بصوت عطوف :

- لا يوجد ما يدعو إلى إضطرابك .

رائت بينهما برهة من الصمت قبل أن يستطرد قائلاً :

- كنت أظن أنك ستكونين سعيدة هذه الليلة .

قالت له بصوت خافت .

- إننى سعيدة بالفعل .

- لا يبدو هذا واضحاً عليك .

- لقد تزوجنا فى ظروف ..

قاطعها قائلاً بتفهم :

- أعرف أنها لم تكن ظروفًا طبيعية .. لكن دعينا

نتغلب عليها .

وأحاط كتفها بساعده فى حنان قائلاً :

- تعالى لأريك ما أحضرته لك من ثياب .

- لى أنا ؟!

قال لها وهو يصطحبها إلى الدولاب المغلق فى
الحجرة :

- نعم .. أنت زوجتى الآن ، ولا بد أن أجعلك فى
أبهى وأزهى صورة .

طلب منها أن تفتح باب الدولاب ، ففتحته بتردد
لتفاجأ بأنواع مختلفة من الثياب الفاخرة .

ارتسمت على وجهها ملامح الدهول وهى تقول :

- ما كل هذا ؟

- إنها ثيابك الجديدة .

قالت له غير مصدقة :

- غير معقول .. كل هذا من أجلى ؟

- وسوف أحضر لك المزيد .

- لكن .. متى أحضرت كل هذا ؟

- لقد رتب الأمر ، وأحضرت الملابس إلى هنا قبل
حضورنا .

لا أدري ما إذا كنت قد وفقت فى المقاس أم لا ،

لكنى استعنت بثوب قديم من ثيابك التى أحضرتها من
المزرعة .. وأرجو أن أكون قد نجحت فى انتقاء
ما يتناسب مع مقاييس جسمك الحالية .. وأن يلائمك
ذوقى فى الاختيار .

قالت له وهى لا تزال متأثرة بما تراه أمامها ؟

- ذوقك ؟ إننى لم أر ما هو أجمل من ذلك .

لكن كيف لم أشعر باختفاء ذلك الثوب الذى أخذته ،
برغم أن ما أملكه من ثياب قليل ؟

- لقد دبرت الأمر ليكون بمثابة مفاجأة لك .

- لقد اعتدت على ألا أهتم كثيراً بما تهتم به الفتيات ،
من ارتداء أفخر الثياب ، ومتابعة أحدث خطوط
الموضة .

كنت أكتفى غالباً ببلوزة وبمنطalon طوال اليوم ، وأنا
فى الوادى .

- ما كان يصلح للوادى .. لا يصلح هنا .

واستطرد قائلاً :

- هيا .. تعالى لأريك ما اشتريته لك من أحذية
جديدة .

- هل اشتريت لى أحذية أيضاً ؟

- تعالى لترى بنفسك .

تأملت الأحذية الأنيقة التى أحضرها لها زوجها ،
وقد تهلتت أسارير وجهها قائلة :

- إنها جميلة للغاية .

- هل أعجبتك حقاً ؟

أحاطت عنقه بساعديها قائلة :

- إنك زوج رائع .

ثم ما لبثت أن تنبعت إلى ما فعلته .. فأبعدت
ذراعيها وقد تضرع وجهها بالاحمرار من شدة الخجل
قائلة :

- آسفة .

ابتسم قائلاً :

- لماذا تتأسفين ؟ هل نسيت أنك زوجتى ؟

اقترب منها ليقبلها قبلة سريعة على وجنتها قائلاً :

- هيا بدلى ثيابك ريثما أطلب العشاء .

اتصرف (عماد) من الحجرة ، وتركها وهى شبه
حالمة .

إنها لا تصدق أن هذا التحول الذى طرأ على حياتها
قد حدث بالفعل ، وأنها انتقلت من ذلك المكان النائى

الذى يلقه الصمت الموحش ، إلى هذه المدينة الكبيرة
الصاخبة .

وقد أصبح من حقها ، أن تتأبط ذراع ذلك الرجل
الذى أحبته ، والذى أصبح زوجها ، لترتاد معه أماكن
مختلفة ومتنوعة ، تختلف عن تلك التى اعتادت
عينها أن تراها كل يوم ، وأن لديها كل هذه الثياب
الأنيقة ، والأحذية الجميلة .. وأشياء كثيرة طالما
تخيلتها وحلمت بها .

تناولت أحد الأثواب التى أحضرها لها زوجها
واحتضنته بين ذراعيها .. وهى تتمايل فى الغرفة
كطفلة صغيرة سعيدة .

وتطلعت إلى نفسها فى المرأة وهى تتساءل :

- ترى هل بدأت الحياة تبتسم لها ؟

مضت الأيام التالية على (سلوى) زاهرة بكل
معانى البهجة والمرح .

لقد تفتحت عينها مع (عماد) على عالم جديد ،
كان مجهولاً بالنسبة لها ، ولم تعرفه من قبل ..

وكان (عماد) يبذل أقصى ما فى وسعه لإسعادها .

لكن أكثر ما كان يزعجها ، هو ذلك الشرود الذى

كان ينتابه من آن لآخر ، ليذكرها بتلك الصورة التي
رأته عليها ، وهو جالس بجوار النبع .

أحياناً كانت تراه .. وكأنه معها بجسده فقط ، بينما
روحه تحلق بعيداً .. فى مكان آخر غير الذى
يجمعهما .

كانت تعرف أنها .. وإن كانت قد أصبحت تشاركه
حياته ، إلا أنها لم تمتلك قلبه بعد ، وأنه برغم كل
مظاهر السعادة والانسجام التى تبدو عليهما كزوجين ،
إلا أنها لم تغلح فى أن تجعله يحبها حتى الآن .

لم تكن غاضبة لذلك ، برغم ما يشيره فى نفسها
من ألم .. فقد كان هذا هو إتفاقهما منذ البداية .
وكانت تأمل فى أن يتحقق هذا الحب يوماً ما ، مع
طوال المعاشرة ، ومع كل الروابط الأخرى التى تجمع
بينهما .

لكن ما كان يؤلمها حقاً ، هو إحساسها بأنه مازال
يفكر فى تلك الفتاة الأخرى التى أحبها .. وأنها
ما زالت تشغل تفكيره .

إنها أنثى .. وهى تحبه .. وهى أيضاً زوجة ..
ولا حيلة لها فى أحاسيس الغيرة التى تنتابها من آن
لآخر ، وتنغص عليها حياتها ، وتفسد عليها سعادتها .

نعم .. فقد كانت منزعة لعدم قدرتها على التأقلم
سريعاً مع ظروف حياتها الجديدة .

فقد عاشت طويلاً كفتاة بريّة ، ليس لديها فكرة
واضحة عن التعامل مع تقاليد مجتمع جديد عليها ،
ومع قواعد يتعين عليها اتباعها فى تناول الطعام ..
وفى التخاطب مع الآخرين .

كما كانت تبدو شديدة الإحساس بالرهبة من
ضطرابها لارتداد أجواء غريبة بالنسبة لها .

كان (عماد) يقدر ذلك فى البداية .. ويحاول
محاولة على مشاعرها كما تعرضت لموقف حرج ..
وارتبت إزاء تصرف ما .

لكنه ما لبث أن بدأ يبدى بعض التحفظات على
تصرفاتها .

ثم تحولت هذه التحفظات إلى ملاحظات قاسية .
كانت تشعر أحياناً وكأنه يدخل من تصرفاتها هذه .
وكانت تجتهد فى محاولة تعرف أساليب التعامل

التي يتعين عليها اتباعها .. والسلوك الواجب اتباعه
فى مناسبات معينة .. لكن خبرتها المحدودة وخجلها ،
كان يدفعانها إلى الارتباك ، وارتكاب الأخطاء أحياناً .

مر على زواجهما أكثر من شهر .. وكانت (سنوى)
قد انتقلت لتعيش فى منزل زوجها .. وبدأت تتأقلم
تدريجياً مع المناخ الجديد الذى انتقلت إليه .
و ذات يوم عاد (عماد) إلى المنزل مبكراً ، حيث
تأهب لإعداد طعام الغداء لهما .
فلحق بها فى المطبخ ليسألها قائلاً :
- ماذا تفعلين ؟
فوجئت بعودته مبكراً .. فقالت له :
- (عماد) .. لقد عدت من عملك مبكراً .
ابتسم قائلاً :
- نعم .. لم أستطع الانتظار قبل أن أتى وأنقل إليك
هذا الخبر السار .. لقد نلت ترقية فى عملى اليوم .
هللت قائلة :
- حقاً .. يا له من خير سعيد !
قال (عماد) :
- لقد وجدت قرار الترقية فى انتظارى اليوم ..
تعرفين ما الذى يعنيه هذا ؟
ليس مجرد زيادة فى المرتب ، أو وضع مميز فى
الشركة .. بل تقدير حقيقى لعملى وجهدى طوال
السنين الماضية ..

قالت له وهى تشعر بفرحة حقيقية لأجله :
- إنك تستحق كل تقدير يا حبيبى .. إننى سعيدة
لتغاية من أجلك .
نظر إلى الوعاء الذى أمامها قائلاً :
- لكك لم تخبرينى بعد ، ما هذا الذى تعدينه ؟
أجابته قائلة :
- ألم تطلب منى أن أعد لك (كشرى) ؟ إننى
تأهب لذلك .
قال لها معترضاً :
- (كشرى) ؟ أقول لك إننى قد نلت ترقية اليوم ،
وتخبرينى بأنك تعدين (كشرى) .
ابتسمت قائلة :
- أليس هذا هو ما طلبته ؟
- لا .. لا .. دعك من هذا . إننا سنحتفل بهذه
المناسبة .
- كيف ؟
- سأدعوك لتناول الطعام فى أرقى مطاعم القاهرة
احتفالاً بهذه المناسبة .
- لا داعى لذلك .. يمكننا أن نعد أصنافاً أخرى من
طعام هنا .

- كلا .. اسمعى ما أقوله لك .. سنتناول طعامنا فى مطعم أنيق يطل على النيل .. وسنتناول أفخر أنواع الطعام .

- لكن الميزانية لا تسمح :

- فلنتغاض عن الميزانية اليوم .

- إننى مازلت أفضل

قال لها مقاطعاً :

- ماذا بك ؟ أكلما دعوتك للذهاب إلى أحد الأماكن

العامة تبدين كل هذا الارتباك ؟

- أنت تعرف أننى لا أحسن التصرف فى تلك الأماكن

- دعك من هذا الهراء .. لا بد أن الفترة التى

قضيتها هنا قد علمتك الكثير .. هيا اذهبى لارتداء

أشييك فستان لديك ، ودعينا نحتفل بهذه المناسبة .

★ ★ ★



٨ - لقاء مع الماضى ..

تلقت (عماد) حوله وهو يهمس لها قائلاً :

- لا تضغطى بالشوكة على قطعة اللحم هكذا .. ألم

أعلمك من قبل كيف تمسكين بها ؟ وكيف تغرسين

أظرافها فى قطعة اللحم برفق ؟ لماذا تتصرفين على

هذا النحو ؟

قالت له بارتباك :

- آسفة .

قال لها وهو ينظر إلى المائدة المجاورة بحرج :

- لا عليك .. إن ارتباكك هو الذى يجعلك تتصرفين

هكذا ، فى حين لو حاولت أن تتعاملى مع تلك الأشياء

بساطة ، ستجدينها سهلة وستعتادين عليها ، دون

حاجة إلى تكلف .

قالت له وهى تشعر بالذنب :

- إننى أحاول ..

وفى اللحظة التى استعد فيها (عماد) لاستئناف

طعامه ، حانت منه التفاتة إلى إحدى الموائد القريبة ..
فامتقع وجهه ، وتوقف عن تناول الطعام فجأة .
لاحظت (سلوى) ما طرأ عليه ، فسأله قائلة :
بانزعاج :

- ماذا بك ؟

كان يحدق في فتاة جميلة ترتدى ثوباً وردياً
وتجلس برفقة أحد الأشخاص .
واسترعى انتباهها تلك النظرة المحدقة في الفتاة
والتعبير الغريب الذى ارتسم على وجهه ، فسأله
قائلة :
- هل تعرفها ؟

قال لها وهو يلقي بفوطة الطعام على المائدة
دون أن يقدم لها إجابة : وقد تقلصت ملامحه :
- من الأفضل أن ننصرف .

أرشدتها غريزتها إلى أن هذه الفتاة هى (منى)
حبه القديم ، لكنها حاولت أن تتجاهل ذلك قائلة :
- لماذا ؟

قال لها محتثاً :

- لأننى لم أعد أرغب فى البقاء هنا .

قالت له وهى تتصنع عدم الفهم :

- هل هذا بسبب تصرفى غير اللائق فى تناول الطعام ؟
- كلا .. كل ما هنالك أننى أشعر ببعض التعب ،
وأرغب فى العودة إلى المنزل .

نادى الجرسون سريعاً : لكى يقدم له الحساب ،
كنه لم يسمعه .

بينما قالت له زوجته وهى تحدجه بنظرة فاحصة :
- هل تعرف هذه الفتاة ؟

قال لها بانفعال :

- آية فتاة ؟

- تلك التى أثارت اضطرابك على هذا النحو .

قال لها بارتباك :

- كلا .. إبنى .. إبنى

لكنه لم يكمل جملة ، وازداد اضطرابه حينما رأى
الفتاة مقبلة عليهما .

ابتسمت الفتاة وهى تقترب من مائدتهما حيث
توقفت أمامه قائلة :

- (عماد) !! غير معقول !! أخيراً ظهرت .. أين

كنت مختفياً ؟

نهض واقفاً وجبينه يتصبب عرقاً ، وهو يصافح
يدها الممتدة إليه قائلاً :

- أهلاً (منى) .

كانت زوجته قد نهضت لمصافحتها بدورها .

بينما نظرات الفتاة تتفحصها في فضول .

فقدمها إليها قائلاً :

اسمحي لى أن أقدم لك زوجتى .

قالت (منى) وقد ارتسمت ملامح الدهشة على

وجهها :

- زوجتك ! حقاً؟ يا لها من مفاجأة .

ومدت لها يدها مصافحة وهى تنظر إليها

باستخفاف .

بينما أكمل (عماد) التعارف قائلاً :

- المهندسة (منى) .

قالت لها (سلوى) بهدوء :

- أهلاً بك .

قال لها (عماد) وأثار الارتباك ما زالت واضحة

على وجهه وهو يشير إلى أحد مقاعد المائدة التى

يجلس إليها :

- تفضلى .

قالت له بنعومة :

- ألن أضايقكما ؟

قال لها :

- نعم .. تفضلى بالجلوس ..

نظرت إلى (سلوى) بطرف عينا قائلة :

- ربما سببت إزعاجاً للمدام .

رسمت (سلوى) ابتسامة ياهتة على وجهها وهى

تقول لها :

- أبداً .. تفضلى .

جلست قائلة :

- على أية حال .. إنسى لن أجلس معكما كثيراً ،

فلا بد أن أعود إلى مائدتى ، لأن (مدحت) فى

نظارى .

نظر (عماد) إلى الرجل الجالس على المائدة قائلاً :

- يمكنه أن ينضم إلينا لو أردت .

- لا داعى ، لذلك .. فسوف ننصرف بعد قليل .

سألها قائلاً :

- هل هو خطيبك ؟

أجابته قائلة :

- كلا .. إبنى لم ارتبط بأى خطبة ..

وأردفت قائلة :

- لكن متى تزوجت ؟

أجابها قائلاً :

- منذ شهر تقريباً .

نظرت إلى (سلوى) قائلة :

- إن زوجتك جميلة .

هزت (سلوى) رأسها قائلة :

- أشكرك على هذا الإطراء

قالت (منى) وهى توجه حديثها إلى (عماد) :

- لكن لماذا لم تدعنا إلى زفافك ؟

- لقد تم كل شيء سريعاً :

واستطرد قائلاً :

- حينما عدت من الوادى الجديد ، وجدت أنك قد

تركت الشركة وتقدمت باستقالتك .

- لقد انتقلت لشركة أخرى .

- لقد ظننت أنك قد تزوجت .

- فى الحقيقة .. لم يكن الشخص الذى اخترته

مناسباً .

قال لها بلهجة تهكمية :

- مع أننى حينما رحلت ، كان يبدو بالنسبة لك

مناسباً تماماً .

قالت له وهى ترمقه بنظرة ذات مغزى :

- كلنا نخطئ أحياناً .

ثم غادت لتقول ، وهى تتطلع إلى (سلوى) :

- هل زوجتك من القاهرة ؟

أجابها قائلاً :

- نعم .. ولكننا ...

قالت لها (سلوى) سريعاً وقد أغضبها أن توجه

هذه الفتاة أسئلتها إليه مباشرة متجاهلة وجودها :

- لكننا تعارفنا فى الوادى الجديد .

قالت (منى) بدهشة موجهة حديثها إلى (عماد)

مرة أخرى :

- فى الوادى الجديد ؟ هل هى تعمل هناك ؟

ردت عليها (سلوى) مرة أخرى وبأسلوب أكثر

حدة :

- لقد كنت أعيش مع أبى هناك ، حيث كنا نمتلك

مزرعة صغيرة . ومن فضلك لو أردت أن تستفسرى

مناسياً .

عن شيء خاص بى ، فيمكنك أن توجهى السؤال إلى مباشرة .. وأنا قادرة على أن أرضى فضولك ..

ابتسمت (منى) بسخرية قائلة لـ (عماد) .

- إن زوجتك حادة الطباع قليلاً .. لكن هذا لا يقتل

من جمالها .

ثم نهضت قائلة :

- على أية حال ، أنا مضطرة للتصرف الآن ..

ولا بد أن نلتقى مرة أخرى .

أوماً (عماد) برأسه دون أن يقول شيئاً .

بينما تحولت (منى) إلى (سلوى) قائلة :

- لقد سعدت بلقائك يا مدام .

اكتفت (سلوى) هى الأخرى بإيماءة بسيطة من

رأسها دون أن تعقب بشيء .

- ظل (عماد) شاردًا وهو يقود سيارته طوال

الطريق ، وقد بدا أن هذا اللقاء قد ترك أثرًا فى نفسه .

بينما ظلت (سلوى) تراقبه بطرف عينيها ..

واتفعالات شتى تتصارع فى نفسها .. وما لبثت أن

قالت له بصوت خافت :

- إنها هى .. أليس كذلك ؟

أوماً لها برأسه دون أن يجيب .

قالت له (سلوى) :

إنها لم ترتبط بذلك الرجل الذى تخلت عنه من

أجله .. ولم تتزوج بعد .

نظر إليها قائلاً :

- ماذا تعنين ؟

- أعنى .. أن الفرصة ما زالت سائحة أمامك .

- هل نسيت أننى رجل متزوج ؟

- من فتاة لا تحبها .

- متى تتوقفين عن ترديد هذه الكلمات ؟

- لقد بدا عليك الاضطراب حينما رأيته .

- ذلك أمر طبيعى .. فلم أظن أننا سنتقابل فى هذا

المكان .

- كان لا بد لكما أن تتقابلا يومًا ما .. ما دمتما

تعملان فى مهنة واحدة .. ترى ماذا كان شعورك

الحقيقى حينما رأيته ؟

- لا داعى لترديد هذه الأسئلة .

- لماذا ؟

- لأنها تنطوى على قدر من الشك .. ولأنها أسئلة

بلا معنى .

واستطرد قائلاً ياتفعال مفاجئ :

- لماذا نهضت لتحيتها ؟ ألم أخبرك من قبل أنه يتعين على السيدة ألا تنهض لمصافحة أحد ، وأن هذا مخالف لقواعد اللياقة ؟ كان يتعين عليها أن تصافح وأنت جالسة .

إلى متى سأظل أنبهك إلى مراعاة تلك الأشياء ؟
- وإلى متى ستظل توجه لى تلك الملاحظات بتلك الطريقة الجارحة ؟

- إننى أحاول أن أعلمك كيف تتعاملين بطريقة اجتماعية لائقة .
- لقد تزوجتتى وأنت تعرف أننى جاهلة بتلك الأمور .

- وإلى متى ستظلين جاهلة بأبسط قواعد اللياقة ؟
اغرورقت عيناها بالعبرات قائلة :
- لماذا تزوجتتى ما دمت تخجل منى ؟
أحس (عماد) بالندم لأنه جرحها على هذا النحو .
فقال لها محاولاً تهدئة انفعالها :

- أنا لا أخجل منك .. لكننى أحاول أن أجعلك تتكيفين مع المجتمع الجديد الذى انتقلت إليه .

قالت له (سلوى) وهى تنتحب :

- إنك ترانى إنسانة غير جديرة بك .
- هذا ادعاء غير صحيح .. وإلا لما تزوجتك .
- لقد تزوجنا فى ظروف غير طبيعية .. دوافعها شفقة والإحساس بالمسئولية تجاه وعد قطعه على نفسك أمام أبى قبل موته .
- لقد أخبرتك من قبل بأن حاجتى إليك قدر حاجتك لى .

- وما الذى تحتاج إليه منى ؟ النسيان .. نسيان لماضى وحبك القديم ، لكنك لم تنس بعد .. وقد وضع هذا عليك منذ أن رأيت هذه الفتاة .
- أرجوك .. دعينا نتوقف عن هذا النقاش .. فليس لدى استعداد لذلك الآن .

كان يبدو متعباً بالفعل .. وقد تقلصت ملامح وجهه .
وأدركت (سلوى) أنه ما زال واقفاً تحت تأثير هذا اللقاء المفاجئ بحبه القديم .. وصمتت برغم معاناتها .

★ ★ ★

٩ - مشاعر باردة ..

لاحظت (سلوى) ما طرأ على زوجها من تغيير واضح ، خلال الأسابيع التالية لهذا اللقاء . أصبحت الساعات التى يقضيها بالخارج أكثر من المعتاد .

وعندما يعود إلى منزله ، كان يظل شاردًا .. محلقًا بأفكاره بعيدًا .

لم يعد يبدي اهتمامًا حقيقياً بها كما كان يفعل .. أو كما كان يفتعل ، بها بات الحوار بينهما قليلاً .. وبدأت تحس بأن صدره يضيق بمثل هذا الحوار .. حتى لو كان بشأن بعض الأمور العادية .

ويحس أن زوجة تحب زوجها .. أدركت أنه يبتعد عن عالمها تدريجياً ، وأن مشاعره تنجرف وبقوة إلى عالم آخر .

ولا بد أن لهذا الأمر علاقة بحبه القديم . اتابها شعور قوى بالحزن والأسى .. فما هى ذى أحلامها تعود لتتسحب تدريجياً .

وها هو ذا الرجل الذعر أحبته مرتنته / مرأسعده بزواجه منها ، يوشك أن يتخلى عنها .. إن لم يكن بجسده وبمشاركته لها حياتها ، فبمشاعره وروحه .

لقد كانت بلهاء عندما ظنت أنها تستطيع أن تدفعه إلى حبها ، وأنه قد تغلب على مشاعره السابقة .

فمن المؤكد أنه ما زال متعلقًا بتلك الفتاة .. وأن حبه لها يمتك عليه حياته .

بكت متأثرة ، وقد أحسست باكتئاب شديد قائلة لنفسها :

- حتى لو لم تكن هذه الفتاة موجودة فى حياته .. فإن عالمها مختلف تمامًا عن عالمه .

فهو المهندس الأنيق الوسيم ، صاحب العلاقات الاجتماعية المتعددة .. ابن المدينة بصخبها وسلوكياتها .

وهى فتاة بريّة ، لم تتفتح عيناها على المجتمع إلا منذ فترة وجيزة .. ولم تعد على سلوكياته .. وما زال أمامها الكثير لكى تتعلمها وتعتادها .

وقد بدأ يضيق حتى من قبل أن يلتقى بهذه الفتاة ، بعدم قدرتها على التأقلم السريع ، مع المناخ الذى اعتاد أن يعيش فيه ويتعامل معه .

استقبلته بلهفة وقد فرحت بعودته المبكرة إلى
المنزل قائلة :

- إبنى سعيدة لأنك عدت مبكراً إلى المنزل اليوم .

قال لها بجفاء وهو يحل ربطة عنقه :

- إبنى مضطر للخروج بعد ساعة .

قالت له وقد ارتسمت على وجهها ملامح خيبة الأمل :

- إذن فلن تبقى بالبيت .

- لقد أقامت المؤسسة التي أعمل بها حفلاً لمجموعة

من رجال الأعمال . وأصحاب شركات البترول العالمية

فى أحد الفنادق .. وقد دعيت لحضور هذا الحفل .

وبالطبع لا بد أن أذهب لأن هذا الحفل مرتبط

بالعمل .

- إذن فلن تتناول عشاءك بالمنزل .

أجابها وهو يستعد لدخول الحمام قائلاً :

- كلا .. فى الغالب سأتناوله فى الفندق .

سألته قائلة :

- هل أتى معك ؟

- لا داعى لذلك .

قالت له معاتبة :

- فى الأيام الأولى من زواجنا ، كنت تلح فى

مرافقتى لك فى مناسبات مختلفة .. أما الآن فلم تعد

ترغب فى ذلك .

قال لها بضيق :

- نعم .. كنت ألح عليك .. وكنت تحاولين دائماً

التهرب من الخروج معى ، أو مرافقتى إلى مثل تلك

الأماكن .. فأنا أعرف أنك لا تميلين إلى تلك الأجواء .

- لأننى لم أعتد الذهاب إلى أماكن كهذه .. وعندما

أتواجد وسط هؤلاء الأشخاص ينتابنى إحساس

بالرهبة والحرج .

قال لها متبرحماً :

- نعم .. أعرف ذلك .. لذا أحاول أن أجنبك هذا

الحرج .

- لكننى مستعدة للخروج معك الآن .

نظر إليها بتمعن قائلاً :

- لماذا ؟ ما الذى طرأ ليدعوك إلى ذلك ؟

- لأننى أحاول التقارب معك .. وأن أفعل أى شىء

يرضيك ، إبنى مستعدة للتغلب على خجلي وارتياكى ..

وأن أخطر وسط هؤلاء الأشخاص ، وأتعلم الكثير ،

لأننى أحبك .. وأريد أن تكون فخوراً بى .

بدا عليه التأثر للحظة .. ثم قال لها :

- إننى أقدر ما تحاولين أن تفعلينه من أجل إرضائى ..
وأعرف أننى أبدو قاسياً فى تصرفاتى معك أحياناً ..
وأرجو أن تسامحينى لذلك ..

قالت له وقد اغرورقت عيناها بالعبرات من شدة
التأثر .. فهى قد افتقدت هذه اللهجة الحانية منه منذ
فترة طويلة :

- مهما كان ما أحاول أن أفعله ، فلا يمكننى أن
أتسبى كل ما فعلته من أجلى .
لقد انتشلتنى من الوحدة والضياع ، ومنحتنى
الأمان والدفع والاستقرار .

لقد كنت ضائعة بعد وفاة أبى .. ورضيت أن
تنزوج من هذه الفتاة الوحيدة الباتسة .. وأن تمنحها
اسمك .

- لا داعى لترديد هذه الكلمات من أن لآخر .. إننى
لا أحب أن أراك تقللين من شأن نفسك .

قالت له وقد جرفتها عاطفتها :

- (عماد) .. إننى أحبك .. أحبك أكثر من أى
شئ آخر فى هذا العالم .

نظر إليها لبرهة .. ثم قال :

- هل تودين أن تأتى معى إلى هذا الحفل ؟

قالت له سريعاً :

- نعم .

- حمن .. أعدى نفسك للذهاب معى .

رافقتة (سلوى) إلى الحفل وهى ترتدى أجمل
أثوابها ، وقد تزينت لتبدو فى أبهى صورة .

وحالت التفاتته منه وهى تتقدمه داخل القاعة
المكتظة بالمدعوين .

فنظر إليها بإعجاب قائلاً لنفسه :

- يا لها من فتاة فاتنة ! إنها تبدو جميلة للغاية
اليوم .

تبادل عبارات الترحيب مع المدعوين ، وهو يقدم
زوجته إليهم ، حيث سألته أحد زملائه قائلاً :

- لقد اخترت زوجة جميلة بالفعل يا (عماد) ..

لماذا لم تعرفنا بها من قبل !

ثم وجه حديثه إليها قائلاً :

- هل تصدقين يا سيدتى أنه حتى لم يفكر أن يدعونا
إلى حفل زفافه ؟

وفجأة سمعا صوتاً يأتي من خلفهما قائلاً :
 - لست وحدك الذى لم تدع إلى حفل زواجه
 يا (سمير) .
 نظر زميله إليها قائلاً :
 - من .. (منى) ؟ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟
 ابتسمت (منى) قائلة :
 - هل نسيت ، أننا زملاء مهنة واحدة ، وأتنى
 أعمل فى شركة منافسة لكم ؟ لقد جئت لأخطف
 عملاءكم الجدد .
 صافحت (سلوى) قائلة :
 - يسعدنى أن نلتقى مرة أخرى يا عزيزتى .
 ونظرت إلى (عماد) وهى تبتسم فى دلال قائلة :
 - كيف حالك يا (عماد) ؟
 قال لها (عماد) وهو يحاول تجنب نظراتها الجريئة
 إليهِ :
 - الحمد لله .. إتنى بخير .
 اقترب أحد الضيوف الأجانب ليطلب (سلوى)
 للرقص .. فأحست بالارتباك وحاولت أن تعتذر .
 لكن (منى) تدخلت لتعتذر نيابة عنها قائلة له
 بالإنجليزية :

- إتنى تعتذر لك .. لأنها لا تجيد الرقص .. كما
 لا تجيد الإنجليزية .
 قالت (سلوى) وقد أغضبها تدخل (منى) وتحدثها
 نيابة عنها :
 - إتنى لا أجيد الرقص بالفعل ؟ لأننى لم أتعلمه ..
 ولم أسع لذلك ، لكننى أجيد التحدث بالإنجليزية ..
 ربما على نحو أفضل منك .
 وتحدثت إلى الرجل بلباقة لتعتذر له وهى تنظر إلى
 (منى) بتحد .
 قالت لها (منى) بنبرة ساخرة :
 - حسن .. أهتفك على إجادتك التحدث بالإنجليزية
 بمثل هذه الطلاقة .. لكن مادمت لا تجيد الرقص ..
 هل تسمحين لى بمراقبة زوجك ؟
 قالت لها (سلوى) وهى ما زالت ترمقها ، بنظرة
 متبرمة :
 - كلا .
 ساد المكان جو من التوتر ، وبدأ (عماد) حرجاً
 للغاية .. فقال لزوجته بخشونة :
 - هل ستقررين لى ما أفعله ؟

قالت (منى) بتعال :

- يبدو أن زوجتك تجهل الكثير عن قواعد اللياقة .

قالت (سلوى) :

- وهل من اللياقة أن تطلب المرأة الرجل لمراقبتها ؟

قال (عماد) لزوجته بغضب :

- كفى !

قالت (سلوى) بعناد :

- كلاً .. يجب أن تفهم هذه الفتاة أن دورها

بالتنسبة لك قد انتهى ، وأن عليها أن تبعد عن

طريقك ، بعد أن أصبحت رجلاً متزوجاً .

قالت لها (منى) باستعلاء مصطنع :

- ما هذا الذى تقولينه ؟ أتظنين أتنى أريد أن أخطف

منك زوجك ؟

صاحت (سلوى) قائلة :

- نعم .. تماماً كما جئت إلى هنا لخطف العملاء

الجدد .

قال لها (عماد) وقد أحترق وجهه من شدة

الغضب والخجل :

- قلت كفى .. لقد جعلت الجميع هنا ينظرون إلينا .

***** ١٢٠ *****

واعتذر لـ (منى) قائلاً بارتباك :

- آسف يا (منى) .

ثم التفت إلى زوجته قائلاً :

- هيا .. دعينا نذهب من هنا .

ظل طوال الطريق صامتاً برغم ملامح الغضب التى

تكسو وجهه .

وحينما وصلا إلى البيت فجر انفعاله فى وجهها

قائلاً :

- ما هذا التصرف الهش الذى تصرفته ؟

سألته قائلة دون أن تهتم بانفعاله :

- هل كنت تعرف أنها ستأتى إلى هذا الحفل ؟

قال لها وقد ازداد انفعالاً :

- إبنى أسألك عن تصرفك الذى جعلنا أضحوكة

أمام الجميع .

- وهل كنت تتنظر منى أن أقف مكتوفة الأيدي

وهى تحاول استفزازى على هذا النحو ؟

- أى استفزاز هذا الذى تتحدثين عنه ؟ لقد حاولت

أن تكون لطيفة معك .. لكنك هاجمتها بطريقة تخالف

كل قواعد اللياقة .

***** ١٢١ *****

- إنك تؤيد إذن ما قالته لى .. بدلاً من أن تشور
لكرامة زوجتك ، وتتدخل لمنعها من إهانتى ، توجه
اتفعالك لى أنا ؟
صاح قائلاً :

- أية إهانة هذه التى تتحدثين عنها !
- لقد قالت أمامك إننى جاهلة بقواعد اللياقة .
قال لها منفعلًا :

- لقد كانت محقة فى ذلك .

قالت (سلوى) متألّمة :
- هل هذا هو رأيك فى ؟

قال دون أن يهتم بلامح الأكم المرسمة على وجهها :
- إن كل تصرفاتك تتم عن ذلك .. أنت لا تكادين
تستطيعين التعامل مع هؤلاء البدو والرعاة ، الذين
تعرفينهم فى الوادى .
قالت له بتأثر :

- إن هؤلاء البدو والرعاة أفضل بكثير من أشخاص
عرفتهم هنا .

انصرف وهو يردد قائلاً بانفعال :

- هذه ليست حياة .. لقد بدأت أمل تصرفاتك وأفعالك .

***** ١٢٢ *****

نادته (سلوى) قائلة :

- هل أنت نادم لأنك تزوجتتى ؟

لكنه لم يجبها .. بل أغلق الباب خلفه وانصرف .

بكت وهى تنتظر إلى الباب المغلق قائلة :

- قل لى يا (عماد) .. هل أصبحت نادمًا على
زواجك منى ؟

★ ★ ★

نظر (عماد) إلى مياه النيل الممتدة أمامه ، وهو
جالس إلى المائدة التى ضمتها مع (منى) فى
الكازينو الأنيق ، الذى تحيطه الأشجار .. قائلاً :

- لماذا فعلت ذلك ؟

سألته (منى) قائلة :

- ما الذى فعلته ؟

- لقد تعمدت استفزرها .

- بصراحة .. لم أعد أطيق وجودك مع هذه المرأة .

- لا تنسى أنها زوجتى .

- لقد اتفقنا على ألا تبقى زوجتك .. أليس كذلك !

- وقد اتفقنا أيضًا على أن هذا يحتاج بعض الوقت .

- إلى متى يا (عماد) ؟ أنت تعرف أننى أحبك ..

***** ١٢٣ *****

لقد تأملت كثيراً لفراقك .. وظللت أبحث عنك طويلاً ،
وأمل أن نلتقى من جديد لتصحيح كل الأخطاء ، ولم
أكن أتصور أنك ستظهر ويرفقتك زوجة أخرى سوى .
قال لها معاتباً :

- ومن الذى تسبب فى ما حدث ؟ من الذى تخلى
عن حبنا فى البداية سعياً وراء أطماع مادية ؟
قاطعته قائلة :

- هل ستحدث عن ذلك مرة أخرى ؟ لقد اعترفت
بخطئى وأخبرتكم أننى تادمة .. وطلبت صفحك .
وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة بدلال :
- وقد صفحت ، أليس كذلك ؟
ثم عادت لتقول :

- المهم الآن أن نصحح الخطأ الذى ارتكبناه ..
لا بد أن تطلق هذه الفتاة ، وأن نعود لسابق عهدنا .
إن كلا منا لا يستطيع أن يستغنى عن الآخر ..
والإنسانة الوحيدة التى تصلح أن تكون زوجة لك هى
أنا .. وليست تلك الفتاة .
نظر إليها قائلاً :

- لكن ما ذنبها لى أتخلى عنها هكذا ؟ وماذا عن

الوعد الذى قطعتة على نفسى أمام أبيها ؟ ثم ماذا
تفعل هذه المسكينة لو طلقته وهى بلا أهل ولا أقارب ؟
قالت له (منى) بانزعاج :

- ما معنى هذا الذى تقوله ؟

- إن ضميرى لا يطاوعنى على أن أتخلى عنها بهذه
الطريقة القاسية .

- أليس هذا أفضل من أن تعيش معها بلا حب ؟
ثم إنه أصبح لديها مبلغ لا بأس به فى البنك ، بعد
أن باعت لها المزرعة وسلمتها ثمنها .. وهو مبلغ
يمكنه أن يوفر لها حياة معقولة ، ولا بد أنها ستلتقى
بشخص آخر ...
قال لها مقاطعاً :

- إن ما يؤلمنى هو أنها تحبنى .
- وأنا أيضاً أحبك .. لكن المهم هو من التى تحبها
أنت ؟

نظر إليها (عماد) وعلى وجهه ملامح التردد ..
فقد أصبح فى حيرة من أمره .. وهو لا يدرى حقاً ..
ما إذا كان لا يزال متمسكاً بحبه لهذه الفتاة الجالسة
أمامه ، أم أن مشاعره قد بدأت تأخذ وجهة أخرى ؟

نظر إليها وهو ما زال واقعاً تحت تأثير المفاجأة
قائلاً :

- (سلوى) .. ماذا تقولين ؟

قالت باتفعال وهي تنتحب :

- أقول لك .. طلقنى .. طلقنى ..

ثم هرولت مبتعدة عن المكان ، وقد انسابت
العبرات على وجنتيها .

★ ★ ★



ولماذا لى نداء حبه القديم ، حينما التقى بـ (منى)
غافراً كل ما ارتكبته فى حقه من ذنب ؟ بالرغم من
أن أحاسيسه المتقدة ، قد انطفأت جذوتها فى نفسه
وهو برفقتها الآن ؟

ثم هل هو الضمير وحده الذى يربطه بـ (سلوى)
ويدعوه إلى عدم التخلّى عنها ، أم أن هناك مشاعر
أخرى تمنعه من ذلك ؟

وفجأة ظهرت (سلوى) أمامهما بعد أن برزت من
خلف الأشجار المحيطة بالمائدة .. قائلة له وعلامات
الآلم ترسم على وجهها :

- لماذا لا تجيبها يا زوجى العزيز ؟ لماذا لا تخبرها
بالحقيقة ، وتخبرها من هى الإنسانة التى تحبها ؟
لماذا لا تقول لها إن ما يربطك بى هو العطف
والشفقة ، وليس الحب بأية حال من الأحوال ؟ وإني
لا تدرى ماذا تفعل بتلك الفتاة التى جلبتها معك من
ذلك المكان النائى .. الذى هربت إليه ليضعة أيام ،
كى تنسى هناك ذكريات حبك القديم .
أنا أقول لك .. ما الذى يتعين عليك أن تفعله ..
طلقنى يا (عماد) .

١٠ - الأحضان الدافئة ..

عاد إلى المنزل وأمارات الخجل مرتسمة على وجهه ، حيث رآها وهي تحزم حقبتها ، وتتأهب لمغادرته .

قال لها بصوت متلعثم :

- (سلوى) .. أنا .. أنا

قالت له بإباء :

- هل نفذت ما طلبته منك ؟

- أعتقد أننا بحاجة لبعض التروى .

- أى تروء بعد ما رأيته وسمعته .

- إبنى أعترف بأننى قد أخطأت فى حقاك ..

وأننى

قالت له :

- لقد شاركتك هذا الخطأ منذ البداية عندما تزوجتك ،

وأنا أعرف أنك لا تحبنى ، لكنى كنت مبهورة بك ..

وكنت تعنى بالنسبة لى كل العالم الذى حرمت منه ..

عالم آخر غير الذى اعتدت أن أراه وأعيشه ..

إنه العالم الذى تنتمى إليه ، والذى نقلتني إليه عندما جئت بى إلى هنا .

والآن وقد رأيت هذا العالم ، وتعاملت معه ، لم أعد مبهورة به كما تخيلته فى أحلامى .. كما لم يعد يعيننى أن نظل زوجين ، لأننى رأيت العديد من الأشخاص الذين يماثلونك فى هذا المجتمع ، ولا بد أننى سأستطيع أن ألتقى بواحد منهم ، أحبه ويحبنى ، ونترج فى ظروف أفضل وأكثر طبيعية من تلك التى فرضت علينا هذه الزيجة .

لذا فلا تدع ضميرك يؤنبك .. ولا تظن أنك ستسبىء إلى كثيراً لو انفصلت عنى .

- (سلوى) .. لا تدعى مشاعر الغضب تؤذى بنا إلى الإقدام على قرار قد نندم عليه فيما بعد .

قالت له (سلوى) بمرارة :

- لا أظن أنك ستندم كثيراً .. لأنك فى أعماقك تتمنى

أن تقدم على هذا القرار .. ربما منذ اللحظة التى التقينا فيها .

- هذا ليس صحيحاً .. إبنى أقدر مشاعرك ...

قاطعتها قائلة :

- لو كنت تقدر مشاعري حقاً ما فعلت هذا بي ..
لقد كنت واثقة من أنك تتقنى بها ، وأنتك مازلت
متشبهاً بحبك القديم لها .. وقد لاحظت ما طرأ عليك
من تغيير منذ أن التقيت بها فى المطعم .
ربما كنت أستطيع أن أفهم عدم قدرتك على التغلب
على مشاعر حبك القديم .. لكننى لا أستطيع أن أغفر
لك جرحك لكرامتى ، وخيانتك لزوجتنا على هذا النحو .
- (سلوى) .. إبنى

حملت حقيبتها ، وهى تتأهب لمغادرة الحجرة
قائلة :

- إبنى سأغادر المنزل الآن ؟
- إلى أين تذهبين ؟
- لا أعرف فى الوقت الحالى .. لكننى سأعلمك بذلك
خلال اليومين القادمين .. وعليك أن ترسل لى ورقة
الطلاق إلى المكان الذى سأحدده لك .
وسارعت بمغادرة المنزل ، دون أن تتجح محاولات
فى استبقائها .

توجهت إلى فندق صغير وحجزت لنفسها غرفة .
وما إن أغلقت بابها عليها حتى تهالكت فوق أحد

المقاعد ، وانخرطت فى بكاء حار .. لقد عادت كما
كانت شريفة خائفة فى هذه الدنيا .
وها هى ذى قد أصبحت وحيدة بدون الرجل الذى
تحبه .

ما إن هدأت انفعالاتها قليلاً ، حتى بدأت تتساعل
عن مصيرها .

- إلى أين تذهب ؟ إنها لن تستطيع البقاء فى هذا
الفندق طويلاً ، فالنقود التى أحضرتها معها قليلة ،
كما أنها نسيبت فى أثناء انفعالاتها ، وهى تحزم حقيبتها ،
أن تحضر معها دفتر البنك ، الذى أودعت فيه ثمن
بيع المزرعة .. كما لم تحضر إلا القليل من الثياب .

وأهون عليها ألف مرة أن تبقى شريفة .. خائفة ،
على هذا النحو من أن تعود إلى المنزل مرة أخرى ،
لإحضار أشياءها من هناك .

وبينما هى فى حيرتها .. تذكرت أنها تحتفظ معها
بغنوان والدتها .. والذى جلبته معها من المزرعة قبل
رحيلها .

كان أبوها مهتماً برغم ما حدث بينه وبين أمها ،
بمتابعة أخبارها .

وتساءلت :

- ترى هل أصاب أمها هذا الحنين الغريزي كما
أصابها ؟ أم أن عاطفة الأمومة قد أصبحت معطلة
لديها .. ولم يعد لها وجود في حياتها .

تطلعت إلى صورة أمها في قصاصة الورق .. كانت
لا تزال جميلة برغم أن هذه الصورة مضى عليها
عامن فقط .

وبالرغم من بعض التجاعيد التي ظهرت على
وجهها ورقبتها .
تأملت الصورة وهي حائرة .

إن غضب السنين الماضية ، والتي تخلت خلالها
عنها ، يمنعها من الذهاب إلى هذه الأم ، التي لم
تكف خاطرها بالسؤال عنها طوال هذه السنين .

وحينها إليها الذي حركته أزمته الحالية يدفعها
إلى البحث عنها ، واللجوء إليها كماوى وحيد لم يعد
لها سواه .

وقررت الذهاب إليها .

وقفت (سلوى) مترددة أمام باب الفيلا الأنيقة
التي تقطنها أمها .. وقد تملكها رهبة شديدة .

وقبل أن تغادر المزرعة عثرت بين أوراقه على
قصاصات من ورق الجرائد ، التي كان يذهب إلى
المدينة لشراؤها .. يشير بعضها إلى نجاح شركة
المقاولات ، التي أسستها أمها هي وزوجها ، والتي
استخدمت في تأسيسها أموال أبيها .

وفي إحدى هذه القصاصات ، كانت صورة أمها ،
وبجوارها زوجها الذي كان يصغرها ببضع سنوات .

وكانت هناك قصاصة أخرى تشير إلى عنوانها في
(مصر الجديدة) .. وفجأة خطر لها أن تذهب للقاء
أمها .

نعم .. إنها لا تعرف أحدا سواها .. وليس لها أي
أقارب آخرين يمكنها أن تلجأ إليهم .

ثم إنه كان لديها دائما حنين خفي ، يدفعها للتفكير
في هذه الأم ، التي تخلت عنها وهي صغيرة ،
والارتقاء في أحضانها ، وإلقاء رأسها على صدرها ..
بالرغم من كل ما ارتكبته في حقها ، وفي حق أبيها
من أخطاء .

إنه الحنين الغريزي الغامض ، الذي يربط بين
الأبناء والأمهات .

وما لبثت أن طرقت الباب حيث فتح لها الخادم ..
الذى سألها قائلاً :

- أية خدمة ؟

أجابته قائلة :

- السيدة (كوثر) موجودة ؟

- نعم يا فندم .

- من فضلك أخبرها أنني أريد التحدث إليها .

- نقول لها من يا فندم ؟

- قل لها : صديقة قديمة .

أشار لها الخادم بالدخول قائلاً :

- تفضل يا فندم .

تلقت حولها مبهورة بمظاهر الثراء التي تحيط
بالمكان .

وخفق قلبها بشدة وهي تحاول تمثيل مشهد اللقاء
الذي سيجتمعها بقلبها .

وتساءلت :

- ترى كيف سيكون استقبالها لها ؟ وما الذي

ستفعله حينما تراها ؟

ترى هل ستعرفها أم أنها لن تتمكن من ذلك ؟

وبعد قليل دخلت عليها الحجرة امرأة في منتصف
العمر ، تبدو موفورة الصحة والحيوية .. وقد أزيّنت
على الوجه الأمثل .

ابتسمت السيدة وهي تصافحها قائلة :

- أهلاً وسهلاً .

مدت لها (سلوى) يداً مرتجفة لتصافحها بها .

بينما دعته السيدة للجلوس قائلة :

- لقد أخبرني الخادم ، أنك تريدين مقابلي .. كما

أخبرني أنك صديقة قديمة .. بالرغم من أنني لم أرك

من قبل ، ولا أظن أن لي صديقات صغيرات السن

هكذا .

قالت لها (سلوى) بتأثر ، وقد أحنّتها أن أمها لم

تعرفها :

- هل أنت واثقة من أنك لم ترينى من قبل ؟

نظرت إليها الأم بتمعن ، في حين ظلت (سلوى)

تأمل أن تفوّدها غريزتها إلى التعرف عليها ، حتى لو

كانت السنون قد غيرت من ملامحها ، وحولتها من

صبية صغيرة حينما تركت أمها ، إلى فتاة شابة حينما

تجدد بينهما اللقاء .

قالت الأم بتردد :

- معذرة .. إننى يخيل لى أننى أعرفك .. وإن كنت غير واثقة من ذلك ، ألا تعرفيننى بنفسك ، وتوفرين على هذه الحيرة ؟

قالت (سلوى) بصوت متهدج :

- إننى ابنك .

ارتجفت الأم وهى تنظر إليها فى دهشة وذهول . وقد احتواها الصمت للحظات ، عجزت خلالها عن أن تنطق بشيء .

وأخيراً تحدثت قائلة :

- (سلوى) ؟!

انتظرت (سلوى) أن تندفع أمها نحوها لتحتويها بين ذراعيها .. لكنها لم تفعل ذلك .

فعدا نظرة الذهول والتأثر التى بدت على وجهها ، لم تقدم على أى تصرف آخر ، مما هو متوقع حدوثه فى مثل هذه المواقف .

خيلَ إليها للحظة وهى ترى أمها تتأهب للنهوض من فوق مقعدها ، أنها ستهرع إليها لتفتح لها ذراعيها وتحتويها بينهما لتضمها إليها بقوة .

لكنها أحست بأن أمها تريد مقاومة هذه العاطفة الفياضة ، وأن تمنع نفسها من الاستسلام إليها . وتحقق ظنهما عندما رأت أمها تحجم عن النهوض ، وتبقى متشبثة بذراعى المقعد الجالسة عليه .

وهكذا مرت اللحظة التى كانت تخشاها وترهبها ، دون أن تملأها تلك العواطف الجياشة التى تخيلتها .

وربما كان هذا أفضل .. لأنها هى نفسها لم تكن تعرف كيف يمكنها التعامل مع مثل هذه العاطفة ، بعد أن انقطعت العلاقة بينها وبين أمها طوال السنين

طويلة الماضية .

سألتها أمها قائلة بنبرة لا تخلو من جفاء :

- كيف اهتديت إلى ؟

قالت لها (سلوى) ببرود مماثل :

- لم يكن ذلك صعباً .

- لقد صرت شابة جميلة ، حتى أننى لم أعرفك .

- لقد أخبرنى أبى أننى أشبهك إلى حد كبير .

نهضت الأم وهى توليها ظهرها ، متظاهرة بالنظر إلى المرأة قائلة لها :

- وما أخباره ؟ أعنى أباك .

قالت الأم بتردد :

- معذرة .. إننى يخيل لى أننى أعرفك .. وإن كنت غير واثقة من ذلك ، ألا تعرفينى بنفسك ، وتوفرين على هذه الحيرة ؟

قالت (سلوى) بصوت متهدج :

- إننى ابنتك .

ارتجفت الأم وهى تنظر إليها فى دهشة وذهول .. وقد احتواها الصمت للحظات ، عجزت خلالها عن أن تنطق بشيء .

وأخيراً تحدثت قائلة :

- (سلوى) ؟!

انتظرت (سلوى) أن تندفع أمها نحوها لتحتويه بين ذراعيها .. لكنها لم تفعل ذلك .

فعدا نظرة الذهول والتأثر التى بدت على وجهها ، لم تقدم على أى تصرف آخر ، مما هو متوقع حدوثه فى مثل هذه المواقف .

خيل إليها للحظة وهى ترى أمها تتأهب للنهوض من فوق مقعدها ، أنها ستهرع إليها لتفتح لها ذراعيها وتحتويهما بينهما لتضمها إليها بقوة .

لكنها أحست بأن أمها تريد مقاومة هذه العاطفة الفياضة ، وأن تمنع نفسها من الاستسلام إليها .

وتحقق ظنها عندما رأت أمها تحجم عن النهوض ، وتبقى متشبثة بذراعى المقعد الجالسة عليه .

وهكذا مرت اللحظة التى كانت تخشاها وترهبها ، دون أن تملأها تلك العواطف الجياشة التى تخيلتها .

وربما كان هذا أفضل .. لأنها هى نفسها لم تكن تعرف كيف يمكنها التعامل مع مثل هذه العاطفة ، بعد أن انقطعت العلاقة بينها وبين أمها طوال السنين طويلة الماضية .

سألتها أمها قائلة بنبرة لا تخلو من جفاء :

- كيف اهتديت إلى ؟

قالت لها (سلوى) ببرود مماثل :

- لم يكن ذلك صعباً .

- لقد صرت شابة جميلة ، حتى أننى لم أعترفك .

- لقد أخبرنى أبى أننى أشبهك إلى حد كبير .

نهضت الأم وهى توليها ظهرها ، متظاهرة بالنظر إلى المرأة قائلة لها :

- وما أخبارك ؟ أعنى أباك .

- لقد مات .

خيل إليها أن أمها قد تحولت إلى تمثال جامد للحظات ، وهي تحديق في المرأة .. ثم ما لبثت أن قالت بصوت يغلفه الحزن :

- رحمه الله .

والتفتت إليها وقد بدا على وجهها ملامح التئير الشديد .. ثم قالت لها :

- متى حدث هذا ؟

- منذ شهرين ونصف تقريباً .

بدا على وجهها شيء من التردد وهي تقترب من ابنتها .. ثم ما لبثت أن همست لها قائلة :

- هل سامحنى على ما فعلته معه ؟

قالت لها (سلوى) وهي تواجهها بنظرة صلبة :

- لا أظن ذلك .

أغضت عينيها وقد ألمها ما قالت ابنتها .. ثم ما لبثت أن قالت وهي تعود لتجلس على المقعد الذي بجوارها :

- كنت أتمنى أن يسامحنى قبل موته .

سألتها (سلوى) قائلة :

- ولماذا لم تسعى لذلك ؟ لماذا تجاهلت وجوده

ووجودى طوال هذه السنين ؟

ثم لماذا تخلّيت عنه وعنّى بهذه الطريقة القاسية ؟ سألتها أمها قائلة :

- هل جئت إلى هنا اليوم .. ويعد كل هذه السنين ،

لكى تحاسبينى على ما مضى ؟

- بل إننى أحاول أن أعرف .

- ما الذى تريد أن تعرفيه ؟ هناك أشياء فى هذه

الدنيا يصعب تفسيرها ، وتدبرها كل المقاييس

لأخلاقية .. لكنها لا تخضع لأى مفاييس أخلاقية ،

لأنها تكون دائماً أقوى من الإنسان .

وكما يصعب تفسيرها .. يصعب الدفاع عنها .

- ماذا تعنين بذلك ؟

- لقد أحببت .. أحببت الرجل الذى هو زوجى الآن ..

فى الوقت الذى لم أحب فيه أبك حباً حقيقياً .. هذا

هو الأمر ببساطة .

لقد سرت وراء اختيار قلبى .. ولم يستطع أى

واقع آخر أن يحول بينى وبين السير وراء هذا

لاختيار .

قولى عنى ما تشائين .. قولى إنتى كنت مسئولة
الإرادة .. وإنتى كنت أمًا سيئة .. وزوجة جاحدة ..
لكن هذا ما حدث .

لقد فضلت أن أتهم بكل الاتهامات البغيضة ، على
أن أحيا بجسدى مع إنسان ، فى الوقت الذى أحيا فيه
بمشاعرى مع إنسان آخر .

قالت (سلوى) وقد تحركت فى نفسها جراح
السنين :

- لكن هذا لم يمنعك من الاستيلاء على أموال
الشخص الذى لا تحبينه ، والذى كان زوجك فى يوم
من الأيام ، لتمنحها للشخص الذى فضلته عليه ..
والذى أصبح زوجك الحالى .. تلك الأموال التى قاسى
وشقى من أجل جمعها ، والتى تحيين بفضلها أنت
وزوجك فى تلك الرفاهية وذلك الثراء .

صاحت أمها فى وجهها قائلة :

- اخرسى .

صاحت (سلوى) بدورها فى وجه أمها قائلة :

- أليست هذه هى الحقيقة ؟

اتفعلت أمها قائلة :

- غادرى منزلى .. هيا اخرجى .

قالت (سلوى) وهى تتأهب للانصراف :

- كان من الخطأ أن أتى للقاءك منذ البداية .

وهمت بالانصراف .. لكن أمها نادتها بصوت متهذج

قائلة :

- (سلوى) .

اقتربت منها وملامح التردد ما زالت على وجهها ،

قائلة وعيناها مغرورتان بالعبرات ، التى رأتها ابنتها

فى عينيها لأول مرة :

- كلا .. لا تنصرفى .. فقد تمنيت هذا اللقاء منذ

سنين .

ثم اندفعت لتحتملها بين ذراعيها وهى تضمها إليها

بقوة ، وهى تبكى قائلة :

- لقد افتقدتك كثيرًا يا بنيتى .

بكت (سلوى) بدورها ، وقد تلاشت كل أحاسيسها

الغاضبة والثائرة ، وهى بين أحضان أمها قائلة :

- وأنا أيضًا كنت مشتاقة لأحضانك الدافئة يا أمى .



١١ - سودى إلى ..

تحدثت أمها إليها قائلة :

- لقد بحثت عنك طويلاً يا بنيتى ، ولا أريد منك أن تعتقدى أننى قد أهملتك تماماً طوال هذه السنين .. لكنى لم أعثر لك أو لأبيك على أى أثر .

روت لها (سلوى) الأحداث التى مرّت بها منذ أن اصطحبها أبوها معه إلى الوادى الجديد ، وحتى مغادرتها لمنزل زوجها .. وأفاضت فى حديثها بكر مشاعر الاینة التى تحتاج لأن تبث همومها وأحزائها إلى أمها .. وبكل اشتياق السنين التى حرمت خلالها من التعبير عن هذه المشاعر الطبيعية ، فى ظل هذه الظروف التى تمرّ بها .

وما لبثت أن تهذج صوتها وهى تقول لأمها :

- إننى بحاجة إليك .

قالت لها الأم وهى تربت على ظهرها :

- وأنا لن أتخلى عنك .

مرّت خمسة أيام على وجودها مع أمها فى منزلها .. وكانت الأم خلالها تعمل جاهدة على معرفة الكثير عن الظروف التى مرّت بها ابنتها وعن الفتاة التى أحبها زوجها .. وقد أدركت أن ابنتها تحب زوجها حباً عميقاً .

وبرغم مظاهر الحنان التى كانت تبديها أمها نحوها ، محاولة تعويض سنين الفراق التى باعدت بينهما ، إلا أن (سلوى) لاحظت أنها كانت تبدو أحياناً مضطربة وحائرة لسبب ما .

كما لاحظت ضعف أمها إزاء زوجها ، وتعالیه عليها أحياناً ، وما لبثت أن سمعته وهو يتحدث إلى أمها ذات يوم قائلاً :

- أما زالت هذه الفتاة هنا ؟

قالت له الأم بنبرة خافتة :

- وإلى أين تريد منها أن تذهب ؟ إنها لا تعرف

أحدًا هنا سواى ؟

قال لها غاضباً :

- هذا .. ليس من شأنى .

- لكنها ابنتى .. ولا يمكننى التخلّى عنها .

قال لها متهمك ما :

- لقد تخليت عنها من قبل .. فما الذى طرأ ؟

قالت له محتدة :

- أنت السبب .. هل نسيت أنك قد اشترطت على

ألا أضمرها لى بعد أن أخذها والدها ؟ وأنت قد جعلت

هذا الشرط مقابل استمرار حياتنا الزوجية ؟

قال لها :

- أبوها كان أولى بها .. ثم إننى لم أكن مستعداً

لكى يكون هناك مبرر لوجود أى اتصال بينك وبين

زوجك السابق ، مع احتفاظك بهذه الابنة .. فضلاً عن

أننى تصورت أنك ستجيبين لى أبناء يتعين عليك أن

تتفرغى لتربيتهم .

قالت له وقد اكتسبت نبرات صوتها بالحزن :

- وما هو ذا قد مات .. ولم يعد لهذه الفتاة أحد

سوى أمها ، كما أننى لم أفصح فى أن أعجب لك أبناء ..

فلا يوجد ما يحول إذن دون بقاتها معى .

صاح قائلاً :

- كلا .. ليس هذا هو ما اتفقنا عليه .. فلتعد إلى

زوجها .. إننى لا أريد بقاء هذه الفتاة هنا .

قالت له وهى تخشى أن تسمع ابنتها هذا الحوار :

- اخفض صوتك .. لئلا نسمعنا .

علا صوته مرة أخرى قائلاً :

- أنا حر فى منزلى .

صاحت الأم فى وجهه قائلة :

- لا تنس أنه منزلى أنا أيضاً ومن حق ابنتى أن

تعيش فى منزل أمها .. وأن تلجأ إليه فى أى وقت

تشاء .

قال لها محتداً :

- منزلك .. هل نسيت أن عقد هذه الفيلا باسمى ،

وأن كل محتوياتها ملك لى ؟

- لكنك اشتريتها بأموالى .

قال لها ساخراً :

- أموالك ؟! أى أموال هذه التى تتحدثين عنها ؟

- الأموال التى جعلتك صاحب شركة مقاولات ..

وصاحب سيارة فارهة .. وفيلا أنيقة .

قال لها منفعلاً :

- لقد صنعت كل هذا بكدى وجهدى .

- وبمالى .

قال لها وهو يعود إلى نبرته التهكمية :

- تقصدين بمال زوجك السابق ؟

- نعم .. بمال زوجي .. زوجي المسكين الذى ظللت
تحوم حول زوجته ، بعد أن نصبت شباكك حولها ..
وظللت تهمس كالشيطان فى أذنها ، حتى جعلتها
تستسلم لإغرائك ، وتتخلى عن زوجها وابنتها من
أجلك .. ثم تسلمك كل شيء لتتصرف وتتحكم فيه
كيفما تشاء ، بعد أن حولتها إلى إنسانة مسلووبة
الإرادة ، لا تستطيع أن ترفض لك طلبًا .
والحمد لله أنك قد اعترفت بلسانك ، أن هذه
الأموال التى صنعت منك صاحب شركة مقاولات ، هى
أموال زوجي السابق ، وهذا يعنى أن لابنته الحق فى
كل ما ترفل فيه من نعيم .

احتد عليها قائلاً :

- لها الحق .. أى حق .. إن كل شيء هنا باسمي .
- هذه كانت غلطتى .. لقد كنت غافلة حينما أسلمتك
زمام أمري منذ البداية .. لكن الحمد لله على أننى لم
أسلمك شركة المقاولات كما فعلت ببقية أموالى
وممتلكاتى الأخرى .

قال لها :

- وهل نسيت أننى شريك لك فيها ، وأن لى توكيلاً
بالتصرف فيها وإدارتها على النحو الذى أراه ؟
- ماذا تعنى ؟

قال بحدّة :

- أعنى أننى أستطيع أن أجردك فى لحظة واحدة
من كل شيء ، وأن ألقى بك وبابنتك فى الشارع .
قالت له الأم باحتقار :
- يا لك من كلب وضع !

ما إن استمعت (سلوى) إلى ذلك ، حتى سارعت
بجمع حاجياتها وغادرت المنزل دون أن تشعر أحداً
بذلك .

فلم ترد أن تتسبب لأمها فى أية مشكلة .. كما
أيقنت أنه لم يعد لها مكان فى هذا المنزل .
سارت (سلوى) فى شوارع المدينة على غير
هدى .. وقد عادت إلى سيرتها الأولى .

فكرت فى أن تعود إلى منزل زوجها .. على الأقل
لكى تسترد دفتر البنك ، حتى يمكنها الإتفاق على
متطلباتها ، والبحث عن مسكن لها .

لكن كبرياءها منعها من ذلك .

وفي أثناء ذلك ، كانت العلاقة قد عادت لتتوطد بين (عماد) و (منى) برغم عدم ارتياحه التام لهذه العلاقة .

وقد أخذت تلح عليه قائلة :

- (عماد) .. لا يمكننا أن نبقى على هذا الوضع طويلاً .. لا بد أن نتخذ موقفاً حاسماً بشأننا .

- لا بد أن أعثر أولاً على (سلوى) .. لكى ننهى الأمر بيننا .. قبل أن نتخذ أى إجراء بشأننا .
قالت له بضيق :

- إننى لا أفهم .. ما الذى يمنعك من تطليقها ؟ وما الذى يحول دون ارتباطنا ، دون السعى وراء البحث عنها ؟

قال لها وقد ضاق بدوره من إلحاحها :

- لا يمكننى التخلّى عنها بهذه الصورة القاسية .. لا بد أن أطمئن أولاً على مصير هذه الفتاة المسكينة .
لقد أخبرتك من قبل أننى عاهدت أباهما قبل موته على أن أرفعها وأعتهد بها بالرعاية .
قالت له منفعلة :

- وإلى متى ستظل أسير هذا العهد بينك وبين أبيها ؟
ثم ما ذنبى أنا فى هذا العهد ؟
لا بد وأن نتخذ موقفاً حاسماً وسريعاً بشأن زواجنا ،
خلال الأيام القادمة ، وأن ننزع هذه الفتاة من تفكيرك تماماً .

ثم استطاع أن يخبرها بأنه لا يستطيع ذلك .. وأنه ليس ضميره فقط هو الذى يحركه للبحث عنها ، وبذل أقصى الجهد للعثور عليها ، ولكن حنينه إليها وافتقاده لها ، يدفعاته إلى ذلك دون أن يدرى ، وأن جزءاً من نفسه يهفو إليها ، ويدعوه إلى التمسك بها .

وفي أثناء ذلك كانت (سلوى) قد استقرت على العودة إلى الوادى الجديد .
فهو المكان الوحيد الذى تعرفه ، والذى يمكنها أن تلجأ إليه فى الوقت الحالى .

★ ★ ★

وقفت (سلوى) من بعيد ، ترقب المزرعة التى كان يمتلكها أبوها .. وهى تستعيد ذكرياتها القديمة .. وتبتسم بمرارة ، حينما تخيلت أنها ستحصل على السعادة التى تحلم بها لو فارقت هذا المكان .

وها هي ذى قد عادت إلى المكان ذاته حاملة معها
تعاستها .

وبينما هي في وقفاتها سمعت صوتًا يناديها قاتلاً :

- ست (سلوى) .

التفتت وراءها قائلة :

- (رابحة) !!

قبلتها (رابحة) بشوق قائلة :

- كيف حالك يا ست (سلوى) ؟ لقد اشتقت إليك

كثيراً .

- وأنا أيضاً يا (رابحة) .

- لكن .. ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

- سأقص عليك ذلك فيما بعد .. لكن قولى لى ..

ما أخبار المالك الجديد للمزرعة ؟

- إنه لا يقيم بها كما كان الحال بالنسبة لك ولأبيك

رحمة الله عليه ، فهو يقطن بالمدينة .. لكنه يأتى

إليها يومياً وبصحبته المشرف ، ليظمن على سير

العمل بها .

- أتعين أنه عين عمالاً زراعيين للعمل بها ؟

- نعم .. فهو لم يشتر مزرعة والدك فقط ..

بل عدة مزارع أخرى فى الوادى .. ويقال إنه شخص
ثرى .. كما أنه يهدف إلى شراء بعض الأراضى غير
المستصلحة هنا ، واستئجار بعض الشباب للعمل بها .

- هل يسمح لى بالعمل فى المزرعة ؟

نظرت إليها (رابحة) بهشة قائلة :

- أتريد أن تعمل فى المزرعة التى كان يمتلكها

أبوك ؟

قالت لها (سلوى) وهى تتجاهل نظراتها :

- نعم .. وما المانع فى ذلك ؟ إننى بحاجة للعمل ..

ولا أعرف أى مكان آخر يمكننى أن أعمل فيه ، سوى

هذا المكان .

لقد مارست العمل هنا ، ولدى دراية كاملة بزراعة

الموالح .

قالت (رابحة) وقد ازداد استغرابها :

- لكن .. ماذا حدث بشأن زواجك ؟ وكيف تتركين

زوجك وتأتين للعمل هنا ؟

- أرجوك يا (رابحة) لا تسألينى عن شيء الآن ..

فقط قولى لى .. هل يمكننى أن أعمل هنا ؟

- لا أدرى .. فكل الذين يعملون هنا من الرجال .

- هذا لا يهم .. من فضلك دعيني أبقيت لديك الليلة ،
وغدا رافقتني لمقابلة صاحب المزرعة الجديد .
قالت لها وهي في حيرة من أمرها :
- على الرحب والسعة يا ست (سلوى) .. هذا
شرف كبير لنا .

★ ★ ★

اجتاز (عماد) البوابة الامامية للمستشفى ، وهو
ما زال يتساءل عن سر هذه الدعوة الغريبة ، التي
تلقاها بالأمس لزيارة سيدة مريضة ، تنزل بإحدى
حجرات المستشفى .
لكن الاتصال الهاتفي الذي تلقاه من هذه السيدة ،
والذي أُلححت من خلاله على ضرورة حضوره ، جعله
يوافق على هذه الزيارة .

سأل إحدى الممرضات قائلاً :

- من فضلك أين يمكنني أن أجد الغرفة رقم (١٧) ؟
أجابته قائلة :

- في الدور الثاني .

صعد إلى الدور الثاني ، حيث طرق باب الحجرة
ودخل .. حيث وجد سيدة متوسطة العمر ، راقدة على

***** ١٥٢ *****

الفرش ، وملامح المرض واضحة على وجهها ،
فسألها قائلاً :

- السيدة (كوثر) .

نظرت إليه قائلة بإعياء :

- لا بد أنك الأستاذ (عماد) .

أجابها قائلاً :

- نعم .

- أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك بطلب زيارتي .

قال لها وهو يجلس على المقعد المجاور لها :

- أبداً .. أرجو لك الشفاء .

- الحمد لله على كل شيء .. لا بد أنك تتساءل

عن تكون هذه السيدة المريضة ، التي طلبت منك أن

تروها .

قال لها متحرجاً :

- لا أستطيع أن أخفي عليك ذلك .

- إنني واثقة زوجتك .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- والدة زوجتي .. لكنها أخبرتني أن والدتها قد

ماتت .

***** ١٥٣ *****

قالت له بأسى :

- كانت لها أسبابها التي تدعوها لذلك آنذاك ، لكن
كما ترى أننى مازلت على قيد الحياة .. ولم يتذكرنى
الموت بعد .. برغم أننى صرت أرجوه ، وربما لحكمة
أرادها الله .

- لكن لماذا أخفت عنى (سلوى) أنك على قيد
الحياة ؟

- دعك من هذا .. وقل لى ، هل عادت إليك
زوجتك ؟

- لقد بحثت عنها كثيرا ولم أجد لها .

ترقرقت عبرة فى عين الأم قائلة :

- مسكينة يا بنيتى .. ترى أين أنت الآن ؟

- هل جاءت إليك ؟

- نعم .. لكنها سمعت نقاشا دار بينى وبين زوجى
جرح إحساسها ، وغادرت المنزل على إثره .. فلم
يكن راغباً فى بقائها .

قال (عماد) وقد اعتراه القلق :

- لكن .. لماذا لم تحاول الاتصال بى ؟ ولماذا لم
تحاولى أنت ذلك من قبل ؟

- إن الفتاة شديدة الاعتزاز بكرامتها .. وقد شعرت
بأنك لم تعد تريدها ، وأن ما يربطك بها هو عطفك
عليها ، وليس رابطة زواج حقيقية .. وبالنسبة لى فقد
كنت أنتظر اللحظة المناسبة للاتصال بك والعمل على
التوفيق بينكما .

فابتنى تحبك حباً جمّاً .. وأظن أنك تبادلها بعض
الحب .

- لا يمكننى أن أنكر ذلك .

سألتها قائلة :

- وماذا عن الفتاة الأخرى ؟

- هل أخبرتك عن ذلك ؟

- ليس هذا فقط .. لقد تحرّيت عن هذه الفتاة عن
طريق مصادرى الخاصة .. وصدقتى إنها لا تصلح
لك .

إنها ما زالت تتأرجح بين أنانياتها ورغبتها فى ألا
تتركك لسواها .. وبين طموحها المادى المتأرجح .

وأظن أن الجانب السيئ الذى رأيته منها من قبل ،
سيعود للظهور من جديد ، لتقلب حياتك إلى جحيم .
إنها تذكرنى بنفسى حينما كنت فى مثل سنّها .

كنت إنسانة أنانية .. مادية .. متقلبة .. مستعدة
للتخلي عن كل المبادئ .. وكل القيم ، فى سبيل
تحقيق مصلحتى الشخصية واستجابة لهوى نفسى .
والنتيجة هى ما تراه أمامك الآن .

فقدت زوجاً وفيّاً مخلصاً .. وحرمت من ابنتى ..
وتزوجت من إنسان وضيع .. استولى على كل أموالى
وباع كل ممتلكاتى ، ثم فرّ هارباً إلى الخارج مع فتاة
أخرى بعد أن ألقى لى بورقة الطلاق .

والنهاية كما تراها أمامك الآن .. إنسانة فقيرة
ومريضة مصابة بأزمة قلبية ضاع منها كل شيء ،
لقد دفع ثمن أطعامها وخيانتها .

لقد انتقم الله لزوجى السابق ، بعد أن استوليت
على كده وعرقه ، وسلمته إلى ذلك الشيطان ، لثرت
لى نفس الطعنة التى سددها لزوجى من قبل .

.. أنا آسف لما حدث لك .
.. لا تأسف .. فهذا هو ما استحقته تماماً .
لقد رويت لك تجربتى لتكون عبرة لك .

ولا تنظن أننى أبحار لابنتى .. لكننى أؤكد لك أن
تلك الفتاة الأخرى ، لن تكون لك زوجة صالحة بأية

حال من الأحوال ، وأن (سنوى) هى الفتاة الوحيدة
التي تحبك بإخلاص حقيقى ، وأنها الوحيدة التى يمكنها
أن تحافظ عليك .. وأن تكون لك نعم الزوجة .. وفى
النهاية لك حرية الاختيار .

تنهّد (عماد) قائلاً :
- إننى أصدقك .. ولكن المهم الآن ، أين أجد
(سنوى) ؟

- أتم تخبرك بمكان ما ، يمكن أن تذهب إليه ؟ أو
كانت تترتاح إليه ؟
قال لها وهو فى حيرة :

- كلا .. لا أعرف مكاناً تفضله سوى ذلك النبع .
وتنبه من حيرته فجأة قائلاً :
- نعم .. النبع .. أيمكن أن تكون قد ذهبت إلى
هناك ؟

- أذهب لتبحث عنها هناك .. ربما عثرت عليها .
قال لها وهو يتأهب لمغادرة الحجرة سريعاً :
- نعم .. سأفعل .

استوقفته الأم قائلة :
- لو التقيت بها أخبرها أننى مازلت أحتفظ لها
بحقها فى مال أبيها ، وأننى لم أنس ذلك مطلقاً ، منذ

أن فارقتى وهى طفلة صغيرة ، كما أن هذا المال هو
الشئ الوحيد ، الذى لم أسمح لذلك الرجل الذى
تزوجته أن يستولى عليه أو حتى يعلم بوجوده .

وأنها تستطيع أن تسترد هذا المال وقتما تشاء ..
وقد تركت لها رسالة توضح ذلك ، والطريقة التى
يمكنها بها الحصول على هذا المال سواء عشت أو مت .

- المهم أن نعر عليها أولاً .

- ستعثر عليها بإذن الله ، إبنى أشعر بذلك .

واستوقفته مرة أخرى قائلة :

- وأخبرها بشئ آخر .. قل لها إن أمها تحبها ..

وإن حبها لها لم ينقطع أبداً بالرغم من كل شئ .

أمسك (عماد) بيدها قائلاً :

- سأخبرها .. سأخبرها بكل شئ .. فقط واصلى

الدعاء لكى أعثر عليها .

★ ★ ★

هرع (عماد) إلى الواحة وهو يلهث من شدة
الركض .

وكم كانت سعادته حينما رآها جالسة بجوار النبع ..

وفى نفس المكان الذى اعتادا أن يجلسا فيه .

كانت شاردة ونظراتها الحزينة تحق فى مياه النبع

الصافية ، على نفس النحو الذى كانت عليه حينما
أتى إلى هذا المكان .

سار على أطراف أصابعه ليقرب منها قائلاً :

- تماماً .. كما ظننت .. لقد عرفت أننى سأجذك

هنا .

هبت واقفة وقد فوجئت به قائلة :

- (عماد) !!؟

مد لها يده قائلاً :

- زوجتى الحبيبة .

تراجعت قائلة :

- لكن .. كيف .. كيف توصلت إلى مكاتى ؟

- ابتسم لها قائلاً :

- ألهمنى قلبى .. وباركتى دعوات امرأة طيبة

تحبك .. وتتلف مثلى لرؤيتك .

إنها أمك التى تنتظر عودتك معى .

- أمى !!

- نعم .. إنها تحتاج إليك الآن بأكثر من أى وقت

مضى .. تماماً كما أحتاج أنا إلى وجودك فى حياتى

مرة أخرى .

- وحبيبتي السابقة ؟

أن فارقتني وهى طفلة صغيرة ، كما أن هذا المال هو
الشيء الوحيد ، الذى لم أسمح لذلك الرجل الذى
تزوجته أن يستولى عليه أو حتى يعلم بوجوده ..
وأنها تستطيع أن تسترد هذا المال وقتما تشاء ..
وقد تركت لها رسالة توضح ذلك ، والطريقة التى
يمكنها بها الحصول على هذا المال سواء عشت أو مت .
- المهم أن نعر عليها أولاً .

- ستعثر عليها بإذن الله ، إننى أشعر بذلك .
واستوقفته مرة أخرى قائلة :
- وأخبرها بشيء آخر .. قل لها إن أمها تحبها ..
وإن حبها لها لم ينقطع أبداً بالرغم من كل شيء .
أمسك (عماد) بيدها قائلاً :
- سأخبرها .. سأخبرها بكل شيء .. فقط واصلى
الدعاء لكى أعثر عليها .

★ ★ ★

هرع (عماد) إلى الواحة وهو يلهث من شدة
الركض .
وكم كانت سعادته حينما رآها جالسة بجوار النبع ..
وفى نفس المكان الذى اعتادا أن يجلسا فيه .
كانت شاردة ونظراتها الحزينة تحق فى مياه النبع

الصافية ، على نفس النحو الذى كانت عليه حينما
أتى إلى هذا المكان .
سار على أطراف أصابعه ليقرب منها قائلاً :
- تماماً .. كما ظننت .. لقد عرفت أننى سأجدها
هنا .

هبت واقفة وقد فوجئت به قائلة :
- (عماد) !!؟

مد لها يده قائلاً :

- زوجتى الحبيبة .

تراجعت قائلة :

- لكن .. كيف .. كيف توصلت إلى مكاتى ؟

- ابتسم لها قائلاً :

- ألهمنى قلبى .. وباركتنى دعوات امرأة طيبة
تحبك .. وتتلف مثلى لرؤيتك .

إنها أمك التى تنتظر عودتك معى .

- أمى !!

- نعم .. إنها تحتاج إليك الآن بأكثر من أى وقت

مضى .. تماماً كما أحتاج أنا إلى وجودك فى حياتى

مرة أخرى .

- وحبيبتي السابقة ؟

- لم يعد لها وجود فى حياتى .. صدقنى لم يعد
لى سوى حبيبة واحدة لم أكن أعرف قيمتها كما
أعرفها الآن .. ولم أحس بأننى أفقدتها بشدة إلا بعد
أن ابتعدت عنى وهى زوجتى .

www.lilal.com

- الفتاة البريئة .

احتواها بين ذراعيه قائلاً :

- بريئة .. أو متمدينة ، إنها حبيبتى فى شتى
الأحوال ، ولن أسمح لها بالابتعاد عنى بعد ذلك أبداً .
وأمسك بيدها قائلاً :

هيا بنا لنعود إلى المنزل .

لكنها استوقفته قائلة :

- ألا نجلس بجوار النبع قليلاً ؟

ابتسم قائلاً :

- بلى .. فقد اشتقت لجلوسنا معاً فى هذا المكان ..
إنه نبع الحب .

★ ★ ★

(تم بحمد الله)

رقم الإيداع : ٧٨٤٨